مساهمة الشيخ إعزاز علي في الدراسات العربية
(دراسة تحليلية)

بحث جامعي
لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

إعداد وتقديم

وصي الحق

تحت إشراف

البروفيسور فيضان الله الفاروقي

مركز الدراسات العربية والإفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو
نيودلهي-67
2005م

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

DATE: 22/07/2005

DECLARATION

I declare that the material and contents presented by me in this Dissertation entitled **"CONTRIBUTION OF SHEIKH IEZAZ ALI TO THE ARABIC STUDIES: AN ANALYTICAL STUDY"** are my original research work and have not ever been submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Wasi ul Haque
Wasiul Haque
(Research Scholar)

F.U. 22.7.05
Prof. F.U. Farooqi
(Supervisor)
CAAS/SLL&CS/JNU

Prof. S.A. Rahman
(Chairperson)
CAAS/SLL&CS/JNU

Gram : JAYENU Tel.: 2670 4253 TELEX : 031-73167 JNU IN Fax : 91-11-2671 7525

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الصفحة

المقدمة ١

الباب الأول:

الهند خلال النصف النهائي للقرن التاسع عشر ٧

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية في النصف الأخير للقرن التاسع عشر ١٣

الفصل الثاني:

الأوضاع السياسية في النصف الأخير للقرن التاسع عشر ٣٦

المراجع ٤٧

الباب الثاني:

التقدم إلى مركز ثقافي للمسلمين ٤٩

الفصل الأول:

تأسيس دار العلوم ديوبند (التعارف) ٥١

الفصل الثاني:

الشيخ إعزاز علي حياته وأعماله (دراسة وجيزة) ٥٨

المراجع ٨٤

الباب الثالث:

الشيخ إعزاز علي من حيث الناثر والشاعر ٨٥

المحتويات

الصفحة

الفصل الأول:

تحليل للأعمال الأدبية للشيخ إعزاز علي ٨٦

الفصل الثاني:

نبذة عن بعض معاصري الشيخ إعزاز علي البارزين ١١٦

المراجع ١٣٣

الخاتمة ١٣٥

المصادر والمراجع ١٣٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على رسوله سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد،

إن الهند قد أنجبت العباقرة في كل زمن من الأزمان، فإذا أمعننا النظر في غابر العصور، وتتبعنا التاريخ وجدنا أن العلماء قد بذلوا الجهود المشكورة في تطوير العلوم الإسلامية، مثل التفسير، والحديث، والفقة، والأصول والكلام.

أما اللغة العربية وآدابها فلا نجد عددا كبيرا من العلماء والأدباء الذين يعنون بها، ويقومون بنشاطات أدبية، وذلك لأن اللغة العربية لم تكن لغة الهنود في أي عهد من العهود الماضية في الهند لا رسميا، ولا عاديا، بل كانت اللغة الفارسية سائدة ورائجة في كل مجال، وفي كل مكان، لكن اللغة العربية لغة دينهم ورسولهم أنزل القرآن فيها، ولأن جميع مصادرالعلوم الإسلامية والدينية قد دونت في هذه اللغة، فتشبثوا بأذيالها وتمسكو بها، وعلموها وأتقنوها كل الإتقان، كما في العهد الإسلامي الأول نبغ الشاعر الحماسي أبو عطا السندي، والشاعرأبوضلع السندي، وبعد ذلك نجد في عصر سلطنة دلهي أدباء، وشعراء، أمثال الأديب الأريب القاضي عبد المقتدر الكندي، وحسن بن محمد الصغاني اللاهوري، وغيرهما من الأدباء الكبار.

ونتقدم إلى الأمام فنجد في العصر المغولي الأول أدباء لهم إنتاجات أدبية، منهم أبوالفيض الفيضي، والشاعر داؤد بن كمال، والعلامة محمود الجونفوري.

وفي العصر المغولي الثاني نبغ الأدباء، والشعراء، لكن ما يجدر ذكره أن الأدباء في ذلك العصر كانوا يكتبون على نهج المقامات، ويرجحون الطريقة الفاضلية، ويبدعون في الصنائع، والبدائع، فبقى الأدب العربي كجثة بلا روح، وبدأت تضمحل آثاره، وتتزلزل أقدامه، وتتدرج إلى السقوط والتدهور، فلم يزل الناس ينوحون على الأدب ويصرخون: ياللعجب لضيعة الأدب ـاللهم إلا بعضهم كالشيخ ولي الله المحدث الدهلوى، والأديب الشاعر غلام علي آزاد البلغرامي- فسمع الله ندائهم فبعد تحكم الإستعمارالإنجليزي حين إزداد تمسك المسلمين باللغة العربية أصبحت أرض الهند الخصبة قد أنجبت عددا كبيرا من الأدباء، والشعراء الذين نبغوا فيمجالات العلم، والفن وآداب اللغة العربية، وتغلغلوا في أصولها، واطلعوا على دقا ئقها ونكاتها، وامتازوا بتذوقهم الخاص في هذه اللغة، وصاغوا انطباعاتهم وأفكارهم في قوالب الشعر العربي.

ومن بين الأدباء والشعراء النبوغ الفذة شيخ الأدب والفقة إعزاز علي عليه الرحمة، لكن الذي يثير الحيرة والإعجاب أن شاعرا وأديبا نابغة مثل شيخ الأدب صاحب "نفحة العرب" والذي علق على عددمن الكتب الأدبية العربية المتداولة "كديوان الحماسة" و"ديوان المتنبي " و"المقامات الحريرية " لم ينل العناية التي يستحقها من قبل المحققين، والباحثين عن الإنتاجات الأدبية في شبه القـــــارة الهندية، ولا نجد أحدا من هؤلاء يقوم بدراسة تحليلية لما قام به شيخ الأدب من شروحات، وتعليقات، على هذه الكتب، وما قام بصياغة القصائدكي يطلع إخواننا العرب على براعته في اللغة العربية، والضلوع منها، و قريحته الشعرية، اللهم إلا بعض المقالات وكثيرا منها في اللغة الأردية التي تلقي الأضواء

علـى مساهمته في الأدب العربي، وعلى أي حال حاولت في هذا البحث الوجيز أن أقـدم أمـام القراء جميع نواحي حياة شيخ الأدب العلمية والأدبية، حتى تتجلى عظمته، ومكانته المرموقة في خدمة الآداب العربية، في هذه البقعة من الأرض.

ولتحقيق هذا الهدف النبيل قسمت هذا البحث المتواضع إلى ثلاثة أبواب بالإضافة إلى مقدمة، وخاتمة.

فالباب الأول ينطوى على فصلين:

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في النصف الأخير للقرن التاسع عشر.

الفصل الثاني: الأوضاع الدينية.

فـفـي الفصل الأول ألقيت نظرة عابرة على الأوضاع السياسية في النصف النهائي للقرن التاسع عشر.

وفـي الـفـصـل الثـانـي تـحـدثـت عـن الأوضاع الدينية السائدة المتعلقة بـمـختـلف الـمـذاهب، هذا بالإضافة إلى النزعات المختلفة بين المسلمين تجاه قـضية التـعـليم والثقافة، وخاصة ألقيت الأضواء على الفرق المحدثة في الإسلام، أما الباب الثاني فيشتمل على فصلين:

الفصل الأول: تأسيس دارالعلوم بديوبند (التعارف)

الفصل الثاني: الشيخ إعزاز علي حياته وأعماله(دراسة وجيزة)

فـالـفـصل الأول قد ذكرت فيه تأسيس مدرسة دار العلوم وأهدافها، ودور دارالـعـلـوم فـي نشـر الثـقافة الإسلامية، وفي الفصل الثاني قمت بذكرحياة شيخ الأدب وأعـمـالـه مـن الـكتـب والتعليقات، والمقدمات مختصرا، وأيضا ركزت الأضـواء فيـه عـلى بعض من أساتذته وتلامذته. وأما الباب الثالث قد قسمته إلى

فصلين و خاتمة.

الفصل الأول: دراسة تحليلية لأعماله الأدبية.

الفصل الثاني: نبذة من بعض معاصري الشيخ إعزاز علي البارزين.

ففي الفصل الأول قمت بتحليل أعماله على سبيل الإيجاز، والفصل الثاني قد ألقيت الأضواء فيه على بعض معاصريه البارزين.

ولا شك في أن الموضوع الذي تناولته للبحث هو موضوع طويل متشعب، ولا يمكن لي أن أقوم بتأدية حقه في هذه الأطروحة الوجيزة التي لا تتجاوز مائة صفحة، لأن دراسة الأدب إنما تحتاج إلى تأليف مجلدات ضخمة، ومع ذلك حاولت بقدر إستطاعتي أن يكون هذا العمل أقرب إلى الكمال، وأدعو الله تعالى أن يسهل علي هذا الأمر، ويهيأ لي الفرص لمزيد من البحث والتحقيق.

وهذه هي الحقيقة بأني واجهت في إعداد هذه الأطروحة صعوبات جمة، ومشاكل متوالية، ذلك لأن المواد كانت منتشرة في شتى المكتبات، وأخص بالذكر مكتبة دارالعلوم ديوبند، ومكتبة دارالعلوم ندوة العلماء، ومكتبة جامعة عليكره الإسلامية، وترددت على هذه المناهل العلمية، والمنابع الأدبية عدة مرات، ووجدت مسؤلي هذه المكتبات وأعضائهامستعدين دائما للترحيب بي، وهنا أنتهز هذه الفرصة لأقدم لهم جزيل الشكر والإمتنان.

وبهذه المناسبة لا بد لي أن أبدى مشاعر التقدير والعرفان، لأستاذي ومشرفي على هذا البحث، الذي لفت إهتمامي إلى هذا الموضوع، وشجعني على تناول هذه الدراسة، وبعث في قلبي روح البحث والتحقيق، وأضاء علي الطريق حينما كنت أجري في ميدانه، وبعدئذ أخص بالذكر أخي الكبير الذي

مهـد لي السبيل إلى هذه الجامعة، كما أتوجه با لشكر و الإمتنان إلى كل من الأخ نـعـمـان أحـمـد، ومـحـمـود مـرزا، ونبيل أحمد، ومحمد راشد، ومحمد أرشد، ومـحمد طيب، ومرتضى علي وغيرهم الذين وفروا لي بعض المواد المتعلقة بهذا الموضوع، أو ساعدوني في أية مرحلة من مراحل إعداد هذه الرسالة بكل ما تيسر لهم من طاقة وقوة.

وأخيـرا أعـرب عن إمتناني تجاه مشرفي البروفيسور فيضان الله الفاروقي، وأدعـوالـلـه أن يـمتـعـه بـدوام الـصـحة والـعـافية، وأن يضفي عليه ظلال الرخاء والرفاهية، وأسأل الله أن يلهمني السداد والصواب، وهو حسبي ونعم الوكيل.

٢٢ يوليو ٢٠٠٥م

الموافق ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ

وصي الحق

جامعة جواهرلال نهرو نيودلهي

الباب الأول:

الهند خلال النصف النهائي

للقرن التاسع عشر

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية في النصف الأخير للقرن التاسع عشر

الفصل الثاني:

الأوضاع الدينية في النصف الأخير للقرن التاسع عشر

الهند خلال النصف النهائي للقرن التاسع عشر

إن الهند شهدت أدوارا كثيرة منذ غابرالعصور، إذا طالعنا الكتب التاريخية فوجدنا أن بين العرب والهنود كانت علاقات تجارية منذ قديم الزما ن.

وكـان الـعـرب يذهبون إلى دول شتى لأغراض تجارية، ويسيرون من مدن مصر والشـام على ساحل البحر الأحمر برا إلى الحجاز، ثم إلى اليمن، وبعد ذلك كانوا يبـدأون رحـلتهـم بـا لبواخر الشراعية، وأن بعضا منهم كانوا يذهبون إلى أفريقيا، وبـعضا منهم يذهبون إلى ساحل بلوجستان في تيو، أو ميناء ديبل (كراتشي) عن طريق حضرموت، وعمان، والبحرين.١

لكن الإسلام بدأ يطرق أبواب الهند منذ عهد الخلفاء الراشدين سواء كان بـواسـطة التـجار، أو بالمهمات العسكرية التي وجهت برعاية الخلفاء، ومن تلك الـمهـمـات مهـمة مـحمدبن قاسم الذي وجهه الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد نـجـحـت هـذه الـمهمة، وأما المجا هد محمد بن قاسم قد حقق الإنتصار على بلاد السند ومهد الطريق للمسلمين حيث يكتب عبد المنعم النمر:

"أشهـرهـاحـمـلة مـحمد بن قاسم الذي وجهه عمه (الحجاج بن يـوسف الثقفي) والي العراق، وقد نجحت هذه الحملة أيما نجاح وفتحت الطريق لسيطرة الولاة الأموية على جزء كبير من الهند " ٢

واستمر هذا النفوذ لكن غالبا في غرب الهند التي تقع اليوم في با كستان،

وبعده جاء محمود الغزنوى الذي قام بالهجوم على هذه البلاد في شهرسبتمبر عام ١٠٠٠م وشن الغارة على كثيرمن المدن الهندية، وفتحها للإسلام وهزم الأحزاب والجنود المجندة لملوك الهند، وذالك في فجر القرن الخامس الهجري، وبعد قرن ونصف دخل الهند السلطان شها ب الدين الغو ري وغزا الهند وأقام دولة مستقلة للمسلمين، وبعد ذلك استمرت دولة المماليك إلى ٨٧سنة، ثم جاء الخلجيون وقضي على الخلجيين بالزوال بعد ٣١ سنة وورثهم آل تغلق وحكموا ١٣٥سنة ثم طوى بساطهم، وتولى العرش الحكومي اللودهيون، وفى عهد إبراهيم اللودهي في ٩٣٣ جاء بابر من كابل وكسر جنودالودهي، وأسس دولة المغول، واستمرت دولة المغول حتى جاء دور أورنج زيب عالمكير بن السلطان شاه جهان صاحب الآثار الخالدة وهو رجل هذا البيت الرشيد فأمر بتدوين الفقه، وأبطل المكوس والضرائب عن المسلمين، ونصب الجزية على المشر كين، وأقام دولة العلم والدين، لكن ما هو جدير بالأسف أن خلفاء عالمكير لم يكونوا خبراء وأكفاء فى الدين والسيا سة، ليست لهم أيدولوجية لإدارة الحكومة وتنفيذ المشروع، فنرى ملوكا يحكمون صباحا و يقتلون مساء، ويستبدلون كالخلقان من الثياب ، ونرى أن المسلمين قد تضعضعت أخلاقهم، واضمحلت أقدامهم، وفشا فيهم الفجور، حتى جاء الشاه ولي الله فناداهم إلى الدين وصنف الكتب القيمة لإيقاظهم.

الشركة الهندية الشرقية

إن الإنكليز قد دخلوا الهند بغرض التجارة، وأسسوا شركة تجارية،

وسموها الشركة الهندية الشرقية، فما زالوا يشتغلون بالتجارة حتى بدأت تتزلزل أقدام الدولة المغولية، فاغتنموا تلك الفرصة، وبدأوا يدبرون المؤامرات، وينسجون الدسائس ضدالملوك والأمراء، و يتدخلون فى شوؤ ن الدولة، ويبذرون الفساد ويحرشون بين الأمراء، ويضربون بعضهم ببعض، لكن وا أسفاه أن أمراء نا السذج لم يتفطنوا نواياهم الفاسدة ببساطتهم وحسن ظنهم، حتى نجحوافى مرامهم الإمام أبو الحسن علي الندوي يذكر:

" وكانت بذرة فساد أغفلها الملوك المسلمون في بسا طتهم وحسن ظنهم، وبقيت هذه الشركة تشتغل بالتجارة حتى اضطرب حبل الدولة المغو لية فطمع رجالها إلى الملك والسياسة، وصاروا يتدخلون في الأمور" ٣

وتسيطروا على شتى المناطق الهندية، فاستعد لمقاومتهم وتوبيخهم النواب سراج الدولة، و وقعت معركة بلاسي سنة ١٧٥٧م، لكن هزموه، وقهروه، بخيانة ميرجعفر، ولم تزل هذه السلسلة للقتال بين الهنود والإنجليز حتى نهض السلطان تيبو.

"الذي قال فيه الإنجليز حين وجد جثته المضرجة بدماء الشهادة "الهند اليوم لنا" ٤

قد بذل السلطان الجهود المكثفة لهزم الإنجليز، لأنه تيقن بأن الإنجليز سيبتلعون هذه البلاد كلقمة سائغة، إذ لم تقم وجههم قوة منظمة، لكن ما فاز في مرامه بل هزمه الإنجليز بقوة المسلمين، والمرهتة، وغدر وزيره ميرصادق، وانسل إلى الانجليز، فسقط الملك صريعا فى اليوم الرابع من مايو،

وقال الكلمة الخالدة المشهـــورة في التاريخ إن يوما من حياة الأسد خير من مأة ابن آوى. الإمام أبو الحسن الندوي يكتب:

"وأول من تنبه لهذا الخطر الملك الهمام الشهم الغيور فتح علي خان المشهور بالسلطان تيبو (١٢١٣١هـ ١٧٩٩م) الذى عرف ببعد نظره وألمعيته أن الإنجلز سيزدردون هذه البلاد كلقمة سائغة، إلى أن يقول: وسقط الملك صريعا في اليوم الرابع من مايو سنة ١٧٩٩م وفضل الموت في المعترك على الأسر في يد الإنجليز"٥

و بقيت هذه الصـــــورة حتى بدأ الإنكليز يتدخلون فى الأمور الدينية والشرعية للمسلمين، فهذا هوالذي زاد استياء المسلمين وأشعل الحريق في صدورهم، فالتهبت قلوبهم لأنهم اكتووا بنارالمنافرة والتدخل مباشرة.

فالشيخ ولي الله هوأول من رفع صوته ضد هذا التدخل الشنيع حينما تجرأ مندوب الشركة الإنجليزية على اجبار الملك المغولي على توقيع قرارات وذلك في ١٢١٨هـ حيث أعلن:

"أعلن أن الخلق لله، والملك للملك، والحكم للشركة، مشيرا إلى أن السلطة تكون في يد الإنجليز، أما الملك فيبقى رمزيا بلا نفوذ، فعارض الشيخ ولي الله هذه الفكرة، وتحداهم أنه لايتصور وجود ملك مسلم بدون نفوذ إلا إذا تصورنا الشمس بدون ضوء"٦

لكن عندما زاد تدخلها في الشؤون السياسية وحتى في الأمور الدينية، ففقد العلماء صبرهم فالشيخ عبد العزيز هوأول من قام بإصدار فتواه المشهورة

بـأن الهـنـد قـدأصبـحـت دار الحرب لا دار الإسلام، وعلى المسلمين أن ينهضوا جـميعا للجهاد، لأن الحل والعقد قد صار بيد الإنجليز فهم الذين يدبرون الأمور، ويـعيـنـون الموظفين، ويشرفون على القضاء والأمن ولايحترمون الأمورالسياسية للإسلام، ويهدمون المساجد بغير اكتراث كما يكتب الشيخ عبد المنعم النمر:

"كـان شـاه عبـدالـعـزيـزالدهلوى أول من أصدرها سنة ١٨٠٣م، نـادى فيهـا بـالـجهـاد ضد الإنجليز، وسار العلماء على نمطها في فتاويهم"٧

فأخذ العلماء يطوفون بالقرى والأرياف، لتحريض الناس ضد الانجليز وحثهم على الجهاد، لاستعادة الأرض المحتلة من يدالإنجليز.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في النصف الأخير للقرن التاسع عشر

تيار ثورة ١٨٥٧م وأثره على الحاكم والمحكوم:

إن ثـــــورة ١٨٥٧ تعد من أشد الحوادث في تا ريخ شبه القارة الهندية، وتتمثل في شكل رحى تدور حولها الأوضاع السياسية والدينية للهند.

كـمـا هـو مـعـلوم لديك أن الشركة الهندية الشرقية بدأت تشترى رؤساء ووجهـاء البـلاد، وتبيـع البـضائع المستوردة من الشركات البريطانية بثمن بخس دراهـم معدودة فأخذت المصانع والمعامل الهندية يتخلف فى المضمارالتجاري، وبـدأ اقتـصـادالهـنـد يتدهور ويذهب إلى السقوط فى حين إلى آخر، والمرسلون الـمسيـحيون يقومون بترويج المذهب الأنجيلى، وأكلوا كل مر وحلو في إعناق الـنـاس ديـانتهـم وبذلوا كل غال ورخيص فى سبيلها بل فى بعض الأوقات قاموا بـإرغـام الناس على تبد يل المذاهب، فنهض المسلمون والهندوس ضد الإنكليز، لأنهـم اصـطـلـوا بنار الإستعمار، وتورطوا فى هذه الأمواج الجارفة مباشرة، لكن السبب الأهم لهذه الحرب المستعيرة هو:

" أن البـريـطـانيـون زودوا الـقـوات بـأحدث الأنواع من البندوقية التـي كـانـت رصـاصهـا مـلـوثة بشـحـم مـعد من المواد المحرمة الـممنوعة، والإنجليز قاموا بهذه العملية لتجريح مشاعرو عواطف

المسلمين والهندوس وتذليلهما تذليلا تاما، فامتنعوا عن استخدامها، واحتجوا ضد الإنجليز على العديد من الثكنات العسكرية، فهذه العملية من قبل الهنود دفعت الوضع نحو مزيد من التصعيد، ويوم التاسع من شهر مايو نرى جماعة تتضمن ٨٥ فارسا قد أصدرت المحاكمة العسكرية حكما بسجنهم مع الاشتغال فى أعمال شاقة لمدة عشر سنوات، بما امتنعوا عن استخدام الخرطوشات الملوثة بشحم نجس". ٨

وتم دخو لهم في السجن فى رد هذا الفعل الشنيع، فيوم الأحد العاشر من شهر مايو يوم حضور الضباط الإنجليز فى الكنيسة قام ثلا ثة رجال من المعتقلين بفتح باب السجن وأطلقوا سراح الأسارى الهنود، وقتلوا الضباط الإنجليز، وانطلقت جموع الفدائيين إلى مدينة دلهي مزودة بالأسلحة، وفي أعقابه في مدينة دلهى تم انفجار الثورة بشكل جيد، واتفق الثوار على اعلان إسم بهادر شاه إمبراطورا للهند كما كتب بائبان تشاندرا:

The revolt of 1857 an unsuccessful but heroic effort to eliminate foreign rull had he capture of Delhi and the begun. proclamation of Bahadur Shah as Emperor of Hindustan gave a positive political meaning to the revolt and provided a rallying point for the rebels by recalling the

post glory of imperial City.

٩

ووقعت أنظارهم على مرزا مغل الابن الشهيم لبهادر شاه، فاتفقوا على تفويض قيادة الجنود إليه ولم يمض شهر حتى ذهبت الأوضاع إلى مزيد من التدهور، لأنه لا يكاد أن يؤدى واجبه بما أنه لم يحمل الخبرات الحربية العسكرية المنشودة، فظل الناس يعيشون عيشا مرا وكانوا على جرف هار من الموت والهلاكة بما يعانون من المصائب، خماص البطون من الطوى صفر الوجوه من الأسى، لكن تدرجت الأوضاع إلى التحسن حين جاء البخت خان وهو يقود جيشا كبيرا يبلغ مجموعه زهاء ١٤ ألفا جنديا.

إن البخت خان كان فطينا خبيرا متبرعا فى المناورة العسكرية، فأولا قام بإعادة الأمن والسلام، وحصل على توقيع بهادر شاه لفرض الحظر على ذبح البقرة بمناسبة عيد الأضحى، وعزز التلاحم الوطني والوحدة الوطنية ليكونوا شعبا واحدا موحدا متراصا فى هذا المصاب الجليل، لكن الماكرين نشروا جواسيسهم فى نواحى المدينة فقاموا بالنميمة بين البخت خان والمرزا المغل، ونجحوا فى توسيع الخليج بينهما، واستمر القتال إلى ستة أيام، فتنازل الإمبراطورعن القلعة وأخذ مأواه فى مجاورة ضريح همايون، والبخت خان أيضا غادر دلهى إلى "أوده" ونهائيا اختفى فى سفوح جبال نيبال للأبد، والإنجليز وضعوا أعينهم على الإمبراطور وعلى رأسهم هودسن ألذى قام بإطلاق النار على إبنيه، ونفاه الى رنجون حيث جاء موعد رحيله فى ١٨٦١م.

مقاطعة أوده:

كـمـا هـو مـعـلـوم أن البـريطانيين فشلوا في إقامة سيطرتهم على مدينة لكناو، وبعد أن تم مصرع المنتظم المميز "هنري لارسن" بدأت السلالة الملكية تطالب بسيادة حضرت محل المرأة الذكية ذات أخلاق عالية شاملة، لكن أخذها الـقنوط واليأس بكثرة الجنود وعدم النظام، لأنها فقدت كل أمل للسيطرة عليهم، لـكـن تـم مـراقبة الـقادمين مؤخرا في قيادة أحمد الله الذي كان من أبرز الأبطال ذلك الوقت، وكان ملتفتا للناس في لكناو كما كان البخت خان في دلهى، وكان يـنتمي إلى أسرة دينية قيادية فى مدينة حيدراباد، يجول فى طول البلاد وعرضها، وبـات يـقـضي حياته كمتطوع في مقبرة من مدينة جواليار، واتخذ مقره في آغره وحيـنما نشبت ثورة ١٨٥٧م خاض فيها مع عدد وجيه من المصاحبين، لكنه هو أيـضـا كـان مقلقلا بخيانة الهنود، فها هو ذا أحمد الله و حضرت محل قد بذلتا الجهود المكثفة في تنفيذ ضربات إنتقامية لهزم الإنجليز و مطاردتهم، على الرغم مـن أنـه نـرى أن مديمة لكناو قد خرجت من أيدينا، كما أن في غضون شهر من السيـطـرة على مدينة دلهي انتشرت هذه الثورة إلى المناطق المختلفة الأخرى في البـلاد نـحـو بـنـارس، و الـلـه آ باد، وبريلي، وجغديش بور، وجانسي، وامتازت جهود المتمردين بكونها معادية للإنجليز لكن ما هو جدير بالذكر أن الحرب في دلهـي ولـكناو قد شنها المسلمون، أما في مدينة كانبور فتم انفجارها على يد نانا صـاحـب الابـن الـمتبـنـى لـلقائد "باجي راو" فقام بإبرام عقد مع قائد محلي من الإنـجـلـيـز لـلـحفاظ على الفصيلة الإنجليزية التي تم إنحصارها في الله باد، لكن

جنود نانا صاحب قامت بإمطارالرصاص على الإنجليز، فمنهم من هرب و أفلت من الموت، والكثيرون لقواحتفهم، ولكن عندما طارالخبر بقدوم القوات الإنجليزية إلى كانبور أمرهم بإلقاء الإنجليز المعتقلين الذين يبلغ عددهم نحو ٢٠٦ نسمة في بئر.

أما في ولاية بهار فان كمار سينغ مالك أراضي جغديش بور قاد حركة التمرد والعصيان ضد البريطانيين، حيث أنه لم يخطط أبدا في المشاركة في هذه الثـــورة إلا أنه لم يتمالك نفسه في الانضمام إليها بعد أن وصلت هذه الثورة إلى آره من دينا بور.

البطلة راني لكشمي بائي

ومن الخيانة إذا لم أذكر البطلة الأرملة راني لكشمي بائي التي لعبت دورا بارزا في هذه الثـــورة، و التي تنتمي إلى مديرية جانسي، قد تألبت الجماهير المحتشدة من كل ناحية من نواحي الهند، وقامت بالقتال ضدالأعداء بكل حيوية ونشاط و شجاعة وقد نجحت في تشكيل ضغط مكثف متواصل على الإنجليز، وقربت أن تزلزل الأرض من تحت أقدام الإ نجليز لكن أصا بتها الجروح عام ١٨٨٥م، وبعد وفاتها لم يقم أحد من القيادات والكوادرات الذي يملأ ذلك الفراغ في تلك المنطقة ورغم أن الناس كانوا قادرين على إبراز قيادات جديدة.

ونرى أن هذه الحرب أي حرب ١٨٥٧م الحرب المدمرة المخربة الجالبة للفقر والبؤس، واليأس التي شنت ضد الوحوش الضارية، قد أنتجت عن حصد

الأرواح الكثيـــــرة لكن الأموات على جانب الإنجليز لم تتجاوز على ٧٠٠٠ نسمة، رغم أن عدد القتلى من الهنود بلغ حوالى نصف مليون، وقام الإنجليز بتخريب مدينة دلهي، وتحويل مراكزها التجارية ومبانيها الشامخة خرابا يبابا، وفرضوا الغرامات الفادحة على مواطني دلهي، فها هو ذا المسجد الذي بناه شاه جهان تحول إلى دار الأسلحة، والذين لم يقدروا على اقناع القضاة الإ نجليز الوحوش بعدم الإنحياز إلى الهنود والضلوع في النشاطات ضد الإ نجليز قد قتلوا وشنقوا وتم إلقاء مصارعهم في الأنهار.

ونحو ربع من سكان دلهي المسلمين فحسب قد تيسر لهم الحصول إلى بيوتهم وغيرهم قد قتلوا أوغادروا مدينة دلهي للحفاظ على أرواحهم وأعراضهم.

ولم تكن هناك في مدينة دلهي إلا جثث هامدة مبعثرة هنا وهناك و قد كانت هذه الجثث في أوضاع مختلفة، وصبوا جام غضبهم على الهنود بصورة بشعة، وخصيصا على المسلمين لأنهم يخصونهم با لقتل والبطش الشيخ أبوالحسن على الندوي يكتب:

"وقد كان شعار بعض رؤساء الإنجليز أنهم كانو يعتبرون كل مسلم ثائرا، وكانوا يسألون الرجل أنت هندوكي أو مسلم ؟ فإذا قال مسلم قتله بالرصاص" ١٠

وقام الإنجليز بمصادرة أملاك المسلمين إلى جانب قتلهم والسد لهم أبواب الرزق، فكانوا على شفاجرف من الهلاك والدمار، وهم كانو سادة البلاد وقادتها أمس وأصبحوا الشعب الذي كان نصيبه أكثر من نصيب كل شيء في

البؤس والشقاء والحرمان.

ومن نجا من العلماء من القتل والشنق أدخلوه في السجن، أو نفوه إلى أتدمان أمثال الشيخ المفتي صدرالدين وفضل حق الخيرآبادي وعبد الله الصادق بوري ومولانا محمد جعفر ومولانا أمير الدين ومولانا تبارك والمفتي عنايت الكاكوري وغيرهم.

وقد بدأ الحكام الإنجليز ينظرون إلى المسلمين بنظرة الشك والأحقاد، وحرموهم من الوظائف الحكومية، وانتهز الهندوس هذه الفرصة ونجحوا في الحصول على الوظائف الحكومية، ولذلك وصل المسلمون في الدرك الأسفل من الإنحطاط السياسي والاقتصادي، وقد زاد غضبهم وحقدهم على المسلمين إلى حد قاموا بالتعليق في بعض بلاغات رسمية:

"أن الوظائف الفلانية لاتقبل فيها إلا الهنادك، أن المسلمين وإن كانوا يملكون المؤهلات والكفاءات المطلوبة لوظيفة ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي". ١١

فأفلس المسلمون في الهند بما ضاقت عليهم أبواب الرزق، فشتان بين المسلمين وظلال الرفاهية والرخاء الذين كانوا قد يعيشون فيها عيشا رغيدا مرضيا بما لحقت بهم هذه الخسائر الفادحة الباهظة، والمصائب العظيمة التي صبت عليهم لأمد لايعلمها إلا الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

دور العلماء في مقاومة الاستعمار

علماء صادق بور:

إن الحركة الإسلامية التي قادها الإما م أحمد بن عرفان الشهيد وأصحابه في شبه القارة الهندية تستحق أن تعتبر أعظم حركة إسلامية، وخير مثال للتضحية والفداء والتفاني في سبيل الله، فعندما وقعت المعركة العنيفة الدامية في وادي بالا كوت واستشهد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وصاحبه العلامة إسماعيل بن عبد الغني في ٢٤ ذي القعدة عام ١٢٤٦هـ بعد أداء رسالتهما وقد حمل اللواء خلفاء السيد وأتباعه فتفرق المجاهدون في فصائل متعددة ولم يزالوا يقومون بوظيفتهم بلا أي يأس وقنوط، بل بعزم جديد ونوع من الجرأة والبسالة، فمنهم من عرفوا بعلماء صادق بور، ومنهم من إشتهرو بعلماء ديوبند، فأولا نذكر تضحيات علماء صادق بور ومقاومتهم الإستعمار، وقد تم لهم بدء هذا الباب من ١٧من شهر شوال سنة ١٢٦٢ه المطابق ١٨٤٦م في بالا كوت، ورفعوا علم الجهاد، ومساعيهم لم تنحصر في الغرب الشمالي فحسب بل وسعوا محاولاتهم من مضيق خيبر إلى ولاية بيهار، وبنغال، ومن ذلك العلماء الشيخ ولايت علي ١٨٥٢م وأخوه عنايت علي م ١٨٥٨م والشيخ نوراللـه م١٨٦٠م والشيخ مقصود علي م ١٨٦٢م وغيرهم من العلماء البارزين الذين بذلوا الجهود المكثفة لرفع الرأيةالإسلامية في الهند، وقدموا تضحيات بأنفسهم وأموالهم لنيل هذا الهدف النبيل الممدوح من الله ورسوله وسائر المسلمين.

لكن بعد وفاة الشيخ عنايت الله لحق لهم الخسران والإنتشار بسبب كثرة الأموات، لكن رغما من الضعف وقلة السلاح مزقوا جمع الانجليز، وشتتوا شملهم، وأقنعوا العالم على أن الإيمان يغلب النظام والزحام، المؤرخ السيد

محمد ميان يكتب:

"لا أريد أن أقوم بالإسهاب في أسباب المهاجمة التي تسببت في نارالحرب الحدودية عام ١٩٥٦ م، وانتهزالمتدينون من تلك الفرصة، وحرضوا القبائل الحدودية ضد الإنجليز بشكل مستمر، ولك أن تسبر غور هذه الحقيقة بهذه الواقعة. إننا اضطررنا إلى إرسال ١٦ كتيبة حربية من ١٨٥٠ إلى ١٨٥٧م وقد بلغ مجموعهانحو ٣٥ ألفا، وقد ضاعفها هذه الحملة حتى بلغ إلى ٢٠ حملة عسكرية، وهذا فيما بين سنة ١٨٥٦م ـ ١٨٦٠م وبلغ مجموعها نحو ٦٠ ألفا، وهذا علاوة على رجال الشرطة البريطانية والجنود التي لا يحصى عددها، أما عندما غادرنا تلك العقبة إلى مكان أخر وجدنا قبور الشرطة البريطانية في كل شبر".

١٢

Jawaharlal Nehru University Library

TH - 18794

وجملة القول أن علماء صادق بور أنفقوا عقارهم المنقولة وغير المنقولة في سبيل الله، ورجحوا حياة الفقر والإفلاس على حياة الترف والجاه، وحتى في بعض الأوقات إضطروا إلى أكل الأوراق والنبا تات في مكان غير مؤهل نائي عن وطنهم، وما كان هذا إلا الإيمان والحمية الإسلامية والنخوة الدينية التي أدامت الحماسة الدينية في قلوبهم ضد العدوان الإنجليزي الصارخ، وقدموا أنفسهم نذورا مقدسة لاعلاء كلمة الله، والإنتصار للد ين، والثار للشرق وتحرير الأرض من أيدي الإنجليز المحتل، لأنهم أدركوا أن العز معقود با لتضحيات والجهاد في سبيل الله الذي سيظل ماضيا إلى يوم القيامة، فنهضوا ليموتوا حتي يحيوا علما

بـأن صـنـاعة الـمـوت هـى التـي تهـب الـحيـاة، بأنهم كانوا يؤمنون بقوله تعالى (ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات)

دور علماء ديوبند في مقاومة الإستعمار

عـنـد مـا قـامت هذه الثورة في الهند شمر العلماء عن سواعدهم لمقاومة الإنـجـليـز مع السيف والبندوقية، فحالما انفجرت الثورة في دلهي إجتمع العلماء كبـارهـم ، ونـزلـوا فـي سـاحة القتا ل، فمنهم الحافظ ضامن، والحاج إمداالله، والشيـخ رشيـد أحمد الغنغوهي، والشيخ محمد قاسم النا نوتوي، ومولانا محمد الـذي كـان يتـردد فـي هذا الأمر بكونهم الأعازل ولعدم وجودالأسلحة، وفقدان الـعسـكـر الذي يوازي معسكرهم، وقال ما عندنا أسلحة توازي أسلحة الإنجليز، فـرد الشيـخ قاسم النانوتوي قائلا ألا توجد الأسلحة مثل ما كا نت في أيدي أهل بـدر؟ فـاستـعـدوا لـمـطـاردة الانجليز، وتم إنتخاب الحاج إمداد الله إماما لهم، وقـاسـم النا نوتوي قائدا عاما، ورشيد أحمد الغنغوهي قاضيا لهم الشيخ عبيد الله يكتب:

"إجتمع من هؤلاء العلماء الربا نيين الكبار، الحافظ ضامن والحاج إمـداداللـلـه ومـولانـا مـحـمـد، وبـحثوا في أمر قيامهم بثورة ضد الإنـكـليـز، ولـكن مولانا محمد كان يرى الإمتناع عن ذلك لعدم الإستـعـدداد وعدم وجود أسلحةتوازن ما في أيدي الانجليز، وإزاء هـذالاختـلاف إستـدعـوا مـو لانا محمد قاسم النانوتوي ومولانا رشيـد أحـمد الكنكوهي .. ولما قال مولانا محمد لاتوجد عندنا

أسلحة توازي ما عند الإنجليز، قال مولانا محمد قاسم: ألاتوجد أسلحة مثل ما كانت في أيدى أهل بدر" ١٣

وفي حين طارت خبر المقاومة هرع إليهم الناس من كل أما كن متجاورة و متقاصية وتجمعوا حولهم، لأنهم إكتووا بنار الإستنفار التي قد نشرها الإنجليز في أ رجاء شبه القارة الهندية.

وقاموا بشرع هذالهدف النبيل الصميم من "تها نه بهون" التابع لمديرية مظفرنجر فتسييطروا عليها، وطاردوا الحكام الإنجليز، وقاموا بتنفيذ الحكم الاسلامي، وحالما عثرت الكيان الإنجليزي على هذا النبأ شهد عاصفة وحالة من الهستيريا والتخبط، وتسارعوا إلى مدينة شاملي لإخماد هذه الثورة، لكن حينما علم العلماء بذلك فكروا كثيرا رغما من أن هذا الخبر لم يوهن عزائمهم، ولم يحطم إراداتهم، واستمروا في العراك حتى فتحوا مدينة شاملي بعد الحرب المسعورة القفراء التي دارت بينهم وبين الإنجليز، و قد استشهد فيها الحافظ ضامن قائد الميسرة فيما أصيب الشيخ قاسم في عضدته، لكن المجاهدون دائبون في أعمالهم ويقاتلون بكل شجاعة وبطالة، حتى يطاردون بالطوب والحجارة، وأضاقوا عليهم الخناق، ولكن لايعلم الغيب إلا الله لأن بعد فترة من الزمن قد جاء ت الأخبار الفادحة الأليمة من مدينة دلهي التي أخمدت فيهم روح الحماس، وبردت مشاعر غضب عارمة، فلم يجدوا بدا من إلقاء السلاح والتنازل والإ نسحاب من مواقعهم، والتخلص من أيدي أعدائهم الغاشمين المشاغبين أعداء الله ورسوله والمسلمين، فا ضطر الحاج إمدادالله إلى الهجرة إلى مكة المكرمة، وألقي القبض على الشيخ رشيد أحمد وظل محتجزا في السجن وأما

الشيخ محمد قاسم فاختفي حتى صدور قانون العفو العام.

دارالعلوم ديو بند وحركة الرسائل الحريرية

عندماخمدت هذه الثورة تم سيطرة الإنجليز مرة ثانية، وعادالأمن والسلام في المدن والقري بما هدأت الأوضاع، فقام العلماء الجريؤن المجاهدون بإنشاء جامعة دارالعلوم بديوبند التي قد أسسها الحاج عابد حسين على إيعاز من فضيلة الشيخ محمد قاسم النانوتوى، ونرى أن الشيخ النانوتوي ما قام بهذالعمل الجليل مباشرا لأنه كان تحت عيون الإنجليز منذ ثورة ١٨٥٧م.

لكن جامعة دارالعلوم لم تكن جامعة ومدرسة دينية ومعهدا علميا فحسب، بل إنما هي حركة ودعوة دائمة وثمرة من مساعي الشيخ ولي الله وأبناوئه ومتبعيه، حتى الآن لصيانة البقية من تراث الاسلام، والدين في شبه القارة الهندية بعد تسلط الإنجليز عليها، وقاموا بهذه الدعوة في صورة المدرسة ناظرا إلى الأوضاع الخطيرة للبلاد في ذلك الوقت، ليستخدموا الأساليب الجديدة لمطاردة الانجليز، وهذه المدرسة قد أنجبت علماء فذة منذ يومها الأول، ومن بينهم الشيخ محمود حسن الذي لعب دورا هاما في إستقلال الهند، وقام بخطة سياسية شاملة لهزم الإنجليز عرفت بخطة الرسائل الحريرية.

وهذه الحركة أيضا ليست من جديد بل هي سلسلة من حركات الشيخ ولي الله الدهلوي، والشيخ عبدالعزيز، والسيد أحمد الشهيد، والشاه إسماعيل التي قد سقاها الشيخان قاسم النانوتوي، ورشيد أحمد الغنغوهي، ولكن من قام بتنشيط وتقديم هذه الحركة إلى الأمام هوالشيخ محمود الحسن المعروف

(بشيخ الهند).

وهذه الحركة قد ظهرت في هذا الشكل في الخمسينات لكن بشكل غير منـظـم، وتعرف عليها الناس حين اكتشف الستار عنها كما يكتب السيد محمد ميان الديوبندي:

" إن بـعـد الـوصول إلى مدينة كابل عثرت على النتائج غيرالمثمرة لـجهـود بـذلتها جماعة شيخ الهند خمسين سنة، وكانت مستعدة لامتثال الأمر"١٤

أمـا الشيـخ فـكـان أكثـر الـنـاس غضبا على الإستعمار المستخدم الحيل الماكرة والعمليات الوحشية لتشويه صورة المقاومة، نحو أعمال تدمير، وتضليل وإحـراق البيـوت، ولأن هـنـا فـي الهند قد تصاعدت الفتن، وتكاثرت الأزمات، وتتـابـعـت المشكلات، وظلم العدل ونصف الظلم بنوع غير محسوب، ولم يبق نـوع مـن الـظلم لم يجربه الإستعمار مع الهنود، لكن الشعب لايزال حيا، يتحمل الأذى تـلـو الأذى، ويتـصبـر عـلـى الـمـصائب ولا تزال أرض الهند ترتوي بدماء الشهـداء الـزكية، وكـانـت الحال على هذا المنوال والشيخ محمود حسن دائب فـي مهـمتـه حتـى تـصـدى الإنجليز لقلب عرش الخلافة العثمانية، وبجانب آخر نشبـت الـحـرب الـعـالمية الأولى، وقامت الأتراك ضد الإنجليز في هذه الحرب، فـلابـد لشيـخ الهـنـد مـن تـصـعيد النشا طات فقام ببعث الناس إلى البلاد النائية، كتـركيـا، وأفـغـانستـان كما أن أوفد مولاما عبيد الله السندهي إلى كابل ليحث الأميـر حبيـب عـلـى خـدمة الإسـلام بـواسـطة إتـخاذ الخطوات المنحازة تجاه الإسـلام والـعـالـم الإسلامي، وأرسل وفودا إلى قبائل غسان، وهكذا إلى الأمكنة

الأخرى لتحملهم على الهند كما يكتب الشيخ المفتي عبيد الله:

"وقد كان الشيخ أنشأ تسعة مراكز سرية في دلهي، وكراتشي، وانسان زي، وراندير، والأماكن الأخرى داخل شبه القارة الهندية، وذلك للتدريب العسكري، وتحريض جنود الإنجليز على الثورة، وتهيئة المناخ للإنتفاضة الشاملة داخل البلاد، كما أنشأ خمسة مراكز من كل تركيا، والمدينة المنورة، وبرلن، وقسطنطنية، وأنقـــــرة، وذلك لتحريض بعض الدول على إشعال نار الحرب، وللحصول على التائيد المعنوي والدعم العسكري من بعضها"١٥

فالشيخ محمودحسن كان تحمله الغيرة الإسلاميه، والحمية الدينية، والنخـــوة الإسلامية، ولأجل ذلك قام بتنشيط الخطة لإستعادة الأرض السليبة، وإسترداد العز المنهوب وإستبدال الصبح الأبلج با لليل البهيم الطويل الذي لايكاد ينجلي، ومازال الأمر يزداد ويرقى، وقد قرب أن ينجح في المرام وتظهر بارقة الأمل، فالشيخ ورفقائه ينتظرون الموعد بفارغ الصبر لكن لايعلم أحد عما هو مختف بالغيب، ولله الأمر من قبل ومن بعد فلم يكن شيخ الهند أن يجني ثمار مساعيه المضنية اللامتناهية، لأن المخابرات الإنجليزية إهتدت اليها وأخذت الرسائل المكتوبة على المنديل الحريري، ومن ثم عرفت هذه الحركة حركة المناديل الحريرية.

أماالإنجليز بدأوا إلقاء القبض على النشطاء والأعضاء الفعالة لهذه الحركة، فقام الشيخ بسفر الحجاز حيث أدى فريضة الحج، ولقي بغالب باشا ثم سافر إلى المدينة هنا، إجتمع بأنور باشا، وجمال باشا، ودارت بينهم محادثات

مثمـــــرة لكن الشريف حسين غدر بالأتراك ووثق العهود بالإنجليز، وقبض على الشيـخ ورفـقـائـه أمثـال الـحـكيم عبد الرالزاق الأنصاري، والشيخ حسين أحمد الـمـدنـي، ومولانا محمد إبراهيم الراندوي، وتم تسليمهم إلى الإ نجليز واعتقلوا في معتقل مالطه إثناء الحرب العالميةالأولى، الإمام أبوالحسن الندوي يكتب:

"وحـاول الإتـصـال بـحـكـومة أفغانستان ورجال الدولة الغثمانية كـأنـور بـاشـا وغيـره، وقـد أسـرتـه حكومة الشريف حسين سنة ١٩١٦م في المدينة المنورة، وسلمته إلى الحكومة الإنجليزية التي نـفته وزملائه وتلاميذه (مولانا حسين أحمد المدني، ومولانا عزيز كل، والحكيم نصرت حسين، والأستاذ وحيد أحمد" ١٦

مـع أن خـطتـه مـا حققت النجاح الشامل لكن لم تزل جمرتها بقية، ولم تبرح آثارها وثمارها تظهر للناس حينا بعد حين إلا أن الأوضاع الراهنة قد غيرت مـجـراها، لأننا نرى تلاميذه لايزالون يستمرون فى وظيفتهم، ويوا صلون الجهود لإحيـاء مـآثـره ومسـاعيـه، وقـد إشتهـر من تلامذة شيخ الهند المفكر الإسلامي عبيـدالـلـه السـنـدي، والشيـخ حسيـن أحـمـد الـمدني، والشيخ محمد منصور الأنـصـاري، واستـمـروا فـي الـمكافحة لإستقلال الهند حتى استقلت الهند عام ١٩٤٧م.

حركة عليكره:

إن حـركة عـليـكـره التـي قد تم تاسيسها على يد السيد أحمد خان الذي ولد عام ١٨١٧م في أسرة رئسيسة، وتلقي التعليم الديني في صغره، وقد نال حظا وافـرا مـن الثقافات العامة التي دفعته إلى الإلتحاق بخد مة الحكومة، وتدرج من

هذة الوظائف حتى صار قاضيا في محكمة من مدينة بجنور:

" وقد أحدثت أفكار سيد أحمد خان الإصلاحية ومنهجه في التجديد دويا هائلا، لا يزال صداه يتردد في أنحاء شبه القارة الهندية والعالم الإسلامي، وقد نتج عن هذه الأفكار والإجنهاد في التجديد حركة إصلاحية كبرى في الهند سميت فيما بعد بحركة عليكره"١٧

ومما يجدر ذكره أن السيد أحمدخان كان لايتفق مع الثورة التي حدثت في ١٨٥٧م، لأنه كان مبصرا بعيد النظر بالدرجة الأولى، كما أن يشاهد تدهور أوضاع المسلمين في الهند، ولأجل ذلك لايحب أن يضيعوا أوقاتهم سدى في المعارك والحروب بلا أي جدوى ملموسة ظاهرة، و للمسلمين أن يتنافسوا في مجالي العلم والتكنولوجيا متكافتين الأقوام الراقية المتطورة، وأن لايتأ خروا عن ركب الثقافة الحديثة.

هذا أن وفور إنتهاء هذه الحرب قام السيد أحمد خان بتأ ليف كتا ب سماه "أسباب التمرد الهندي" وجه فيه عقارب الإتهام الحربية إلى رجال الحكومة، وأسهب في الكلام ومن أهمها فشل الحكومة في التمتع بثقة الناس، وأيضا تنفيذ القوانين وفقا للأفكار الغربية دون لفت أي اهتمام وعناية بتقدير مشاعر الناس، وعواطفهم، وبالجملة أن هذه الحرب تركت أثرا هائلا على قلبه ولايزال يفكر حول رفاهية ورغادة العيش للمسلمين، ولأجل ذلك

"قام بزيارة مدينة لندن في ١١٦٩م وأمعن النظر في حياة سكانها، وموا طنيها، وزار جامعة كيمبرج، وتأثر بنظا مها التعليمي

الـحـديـث، وفـور بـعد العودة من سفره عام ١٨٧٠م قام بتشكيل لـجـنة لتحقيق أسباب تخلف المسلمين في مجالي العلم والثقافة، ووجـه الـخـطـاب إلـى الـنـاس ودعـاهـم إلـى إنشاء معهد علمي إسـلامـي يتـلـقـي فيـه أبـنـاء المسلمين التعليم الحديث مع التعليم الـديني، ودعا أغنياء المسلمين الذين يشا ركونه فكرته إلى التبرع لإنشاء هذه المدرسة "١٨

وقـد أسسـت هـذه الـمـدرسة عـام ١٢٩٣ه الـمطابق ١٨٦٧م بمعا ونة الإنـجـليـز وبـعـض الشخصيات الإسلامية الموالين له والمعتنقين بفكرته، وعلى راسهـم آغـا خـان، ووقـارالـمـلك، و مـحسن الملك، وهكذا ولد هذا المشروع فـي جـو الشك لـصاحبه، والعداء الشديد له من جمهرة المسلمين الذين يوجهون عـقـارب الإتهـام إلى السيد أحمد خان ويرمونه بالإ لحاد والز ندقة بكونه ألعوبة فـي أيادي الإنجليز، لأن الإشراف عليها عقليا وثقافيا وخلقيا كان بأيدي الأفاضل الإنـجـليـز الـمحنكين أمثال المستر بيك والمستر مورسون، والمستر آرجبولد، و قـدنـرى أن هـذه الأوضـاع قـامـت مـقـام الوقود في إثارة الشكوك تجاه أفكاره الأستاذ عبد المنعم النمر يكتب:

"ولقد زاد في الشكوك التي تحوم حول مشروعه إعتماده في قيامه عـلـى الأسـاتـــذة والمديريين الإنجليز الذين اتخذوا من عملهم أوكارا لدعايتهم، والترويج لحكمهم مما أعطى خصومه أسلحة يشهرونها في وجعه، وقذائف يرمونه بها هو ومشروعه" ١٩

لـكـن هـذه المدرسة أخذت تنمو وسط الأشواك والصعاب، والصيحات

المخالفة، وتنمو على مر الزمن وصارت جامعة عليكرة الإسلامية، وقد إعترفت بها الحكومة عام ٩١١٢، وقد جذبت إليها الشباب الذكي في شبه القارة الهندية من خليج بنغال إلى مضيق خيبر جذب المغناطيس القطع الحديدية، وتخرج فيها كثير من المسلمين المثقفين الذين كان لهم أثر كبير في حياة الهند السياسية والإجتماعية.

تأليف حزب المؤتمر:

إن ثورة ١٨٥٧م التي انفجرت في الهند تركت أثرا هائلا وذكريات مرة من الجانبين، وأثارت الشكوك بين الحاكم والمحكوم لايرون أحدا من عيون الإعتبار والثقة، والمجلس الإداري كان يختلف من الإدارة السابقة التابعة لشركة الهند الشرقية، وتعرض الناس لمصائب شتي بلا أي امتياز بين المذاهب والمسالك، والبلاد تعاني من الأزمات الاقتصادية، والناس على وشك الهلاك جوعا، وكادوا أن يقوموا با لتمرد مرة ثانية بسبب تزايد المظالم والمجاذر التي قام بها الحاكم المستبد الجائر، فظهرت الحركات الإجتما عية التي تهدف إلى تحسين حال الهند من النواحي السياسية والإ قتصادية، وقد تم تاسيس الجمعيات الإصلاحية في كل من مومباي، وكو لكاتا، ومدراس، وطافت المظاهرات الشعبية الصاخبة بالإحتجاج على حرية الصحافة الناشئة فكانت مقاطعة بنجال من أول المقاطعات صحوة في المضمار السياسي، والمجال الإستراتيجي من مومباي، ومدراس، وأترابراديش.

فهذه الإنتفاضة السياسية ضد الظلم والجور قد أثارت القضية العنصرية

بين الهنود والإنجليز، والإنجليز قوم مرنوا على سياسة الشعوب والأقوام فأدركوا ما هوآت في المستقبل، وفكروا في تأ سيس جمعية وطنية من أبناء الهند يحمل أعضاؤ ها المظالم إلى الحكام حيث يمكن إتخاذ الإ جراء ات ضد الحكماء الغاشمين الذين يمارسون كل نوع من الظلم والعدوان الذي يعادل (هملايا)في شناعته.

وفي هذه الأوضاع المتوترة نرى إنجليزيا متقاعدا يقوم بتأليف حزب المؤتمر للوصول إلى حل هذه الأمور المعقدة غير المنحلة التي بقيت اللغز المحير، وهو السيد"هيوم" الذي تم على يده تأليف حزب المؤتمر وكان مدبرا كبيرا ومفكرا حول رفاهية الناس، وكان متشوسا من هذه المعضلات التي كانت تنمو يوما فيوما وتتزايد في كل آن:

"كما أن قام بجولة لندن لعقد الإجتماع مع الأعضاء البارزين للبرلمان، وفور عودته من سفره ناشد خريجي جامعة كولكاتا مناشدة جادة أعرب فيها عن قلقه بجمود الطبقة المثقفة في شأن رفاهية بلا دهم، وقال إن كلا منا قد نال الحكومة قدر إستحقاقه، ولايمكن الحصول على أي شيء غالي دون حرز نوع من الجرأة والبسالة وتقديم تضحيات ذاتية". ٢٠

ووضع إقتراحا لإنشاء جمعية تتضمن خمسين عضوا مؤسسا، وتم الإتفاق على إدارتها با للغة الإنجليزية ولأجل ذلك تم حصر الدعوة أيضا إلى الذين لهم معرفة تامة باللغة الإنجليزية وسمي"حزب المؤتمر الوطني" وإجتماعها الأول عقد بمومباي في ٢٨ من شهر ديسمبر عام ١٩٨٥م والجلسة الأولى

للمؤتمر قد حضرها ٧٢ مندوبا من شتي المهن والحرفات نحو المعلمين، والمحاميين، والصحفيين، والإشتراكيين، كما أن تم إنتخاب السيد بونارجي رئيسا لهذه الجلسة، وقام بالترحيب بمجهودات الإنجليز في سبيل إقرار النظام وتحسين المواصلات، وإدخالها التعليم الغربي في البلاد، وكل ما صنعه الإنجليز لرفاهية الهنود.

وعام ١٨٨٨م كان السيد "جورج يول" التاجر الكبير في مدينة كولكاتا نخب رئيسا للمؤتمر، وبعد ذلك إستقر منصبه السيد "ودربن" لكن ما هو جدير بالذكر أن المسلمين لم يرغبوا فى الإشتراك مع أن الإنجليز كانوا حريصا في الإنضمام إلى المؤتمر، الأستاذ عبد المنعم النمر يكتب:

"وقد حرض الإنجليزمن باديء الأمر أن تضم هذه الجمعية الوطنية ممثلين من المسلمين حتى يأخذ الصبغة العامة في التعبير عن رأى البلاد فاشترك فيها بعض المسلمين "٢١

ولأن حزب المؤتمر لقي إعجابا شديدا من قبل الهندوس، وهذا لا لأن المسلمين لايعلمون الإنجليزية بشكل جيد بل لأجل حدوث الفتن بين الهندوس والمسلمين بسبب المكيدات الشنيعة المخططة من قبل الإنجليز بما قاموا بنسج المؤامرات، وتدبير الدسائس ضد المسلمين، فاحتضنوا الهندوس وعملوا على إثارة نفوسهم وإحقادهم على المسلمين بمختلف الوسائل، فتتابعت الخلافات بينهما وبقوا يتورطون في الأمواج الجارفة المكتسحة للإستنفار، والإستعمار يتفرج على الشاطي مع أنهم كانوا يسكنون و يعيشون كالإخوة يجري في أجسامهم دم واحد، ونتيجة أن الهندوس يتنافسون في الحزب رغما

مـن أن الـمسـلـمين لايساهمون بسبب الإضطرابات التي إند لعت في ١٨٦٨م تـجاه لغتي الأردية والهندية، لأن الهندوس قاموا بكل حيوية ونشاط للقضاء على الـلـغة الأردية التـي أوجدها المسلمون التي تعتبر لغتهم و لغة ثقا فتهم، ويطالبون بـإحـلال الـلـغة الهـنـدية محلها، وقضية ذبح البقرة كان سببا آخر لتصاعد التوتر وإلتهـاب الشررفي قلوب الهندوس، وهنا نرى جماعة من الهندوس تقوم بأعمال شـنيعة بشعة وتثير عواطف الناس، وعلى رأسهم ديا نند سرسوتي الذي يصرخ أن الهند للهنود (يعني الهندوس) ويخرج المسلمين من كو نهم هنديا، لتحريك روح تعصبية هندوسية، وإقامة حكم هندوسي ويعتبر المسلمين دخلاء غزاة فاتحين.

كـمـا أن السيـد أحـمـد خـان أيـضا يسدي النصح إلى المسلمين بإتخاذ التـخـلـي عـن السياسة، لأنه يدرك أن المسلمين يوا جهون المصائب والكلفات، وخـصيـصـا بـعد حدوث الثورة لا يرى لهم مستقبل مشرق، ويرى أنه يمكن لهم تـأسيـس مستـقبل مثمر عبر تعزيز العلا قات الودية مع الحكام، وتحسين ظروفهم البـائسة خـلا ل الـحـصـول على العلوم الغربية كما كتب الشيخ أبو الحسن علي الندوي:

> "وكـان زعيـم الـحـر كة التـعـليـمية سر سيد أحمد خان (مؤسس الـجـامـعة الإسـلامية في عليكره) من دعاة الإتحاد الوطني إلا أنه بـعد فترة قصيرة إتبع سيا سة الإنفصال عن المؤتمر بدافع الإ شفاق عـلـى الـمسـلـمين الذين كانوا لايزالون ضعفاء في الثقافة، والوعي السياسي، ومتخلفين في الحياة والإقتصاد والتعليم "٢٢

والسبـب الأهـم تـجاه سياسة الإنفصال عن المؤتمر ما يخطر ببالي الذي

غير وجهة نظره، وهو نداء حلول اللغة الهندية محل اللغة الأردية من قبل الهنادك، وأيضا رفع الهتافات العدائية نحو الهند للهنود (أي الهندوس) وما إلى ذلك فركبه الألم الشديد تجاه الموقف الذي إتخذه الهندوك، ولأجل ذلك بدأ ينهي المسلمين عن الإنسلاك في المؤتمر لأنها كانت تحمل أغلبية الهندوس، ولا عجب فا نه قبل ذلك كان داعيا كبيرا للإتحاد الهندوكي والإسلامي، وينشد نشيد إتحاد الهندوس والمسلمين حيث يقول

" إن الهندوس والمسلمين كعيناي ، بل كعين واحدة، وليت لي عينا واحدة أوقعها عليهم سويا بلا أي تفريق"٢٣

لكن نرى عام ١٨٦٧م حين ثارت قضية لغتي الأردية والهندية قد خيمت عليه الأحزان والهموم بما قام بها الهندوس وقال:

"إن ما قمت بها من الأعمال فهي كانت لرفاهية الهنود بلا أي إمتياز بين الهندوس والمسلمين، لكن لما قاموا بها من محاولة قمع اللغة الأردية فظهر لي أنه قد تعذر المواخاة والإنسجام معهم"٢٤

وبجانب آخر نرى (تلك) الذي يصنف المسلمين عدوا تقليديا للهندوس، ويظن بهم سوء الظن ويثير الهندوس ضد المسلمين، والإنجليز أيضا ينظرون إلى المسلمين شذرا بعدم إشتراكهم في الحزب فلا بد لهم من إزالة الجفوة التى بينهم وبين الإنجليز، ولأن بعضا من المسلمين يتسايرون المؤتمر ويحسنون الظن به بتباعده من التبعية للحكومة، كما أن فريقا من المسلمين ينظر إليه بنظر ة مريبة بكونهم أقلية فيها، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى الحملة التي

شـنهـا كثيـر مـن الـمـفكرين المسلمين على المؤتمر، وأهداف الهندوس، وقاموا بـإنشاء جمعية باسم جما عة "أحباء الوطن " والسيد أحمد خان كان من أعضاء الـجـمـاعة البـارزيـن الـذي أعلن لايجوز للمسلمين الإ نضمام إلى المؤتمر لأنها تـحـمـل أغـلبية الهندوك، وقد وافقه بعض العلماء و كان ذلك سنة ١٨٨٨م لكن الجماعة الأخرى التي كانت أشد غضبا على الإنجليز المحتل قامت ضدهم

"وعـلى رأسهم الشيخ عبد القادر اللدهيانوى ومولانا رشيد أحمد الـغـنـعـوهـي الذي قاد جيش العلماء أيام الثورة، وانضم إليه العالم الشـاب تـلـميـذه مـحـمـو د الـحسن وأصدروا فتاوي ضد فتاوي الـعلماء السابقين بأن الانضمام إلى المؤتمر ليس بحرام، ويدعون المسلمين إلى الإنضمام إليه"٢٥

ومـنـعـوا الـنـاس مـن الإشتـراك فـي أحبـا ء الـوطـن الذي ألفها إنجليزي هـوالسيد"بيك" و قالو إن الإشتراك فيها هو التعاون مع الإنجليز الغاشم، والتعاون مـع الإستـعـمـارحـرام، فبدأ الناس ينتهون ويتنازلون وينسحبون عنها بعد صدور الفتاوي، وهرعوا وتسارعوا إلى الإنضمام إلى حزب المؤتمر.

الفصل الثاني

الأوضاع الدينية:

إختلاف النزعات بين المسلمين تجاه التعليم والثقافة

إن في القرن التاسع عشر نجد مدرستين متعارضتين (١) مدرسة ديوبند (٢)مدرسة عليكرة. فقد كان أصحاب مدرسة ديوبند يبغضون ويستكرهون كل شيء جديد، بينما كان أصحاب عليكره يميلون ويعكفون على كل شيء أوروبي حديث، ولا شك في أن المدارس الإسلامية التابعة لفكرة ديوبند كانت تهتم بتعليم العلوم الدينية، ومباديء الإسلام وشريعته بشكل قوي، ولاتقبل أي شيء مخل فيها بينما كانت المدارس بقيادة عليكره أكثر إعتناء بالثقافة الغربية، وكانت تحاول أن تاخذ من الحضارة الغربية حظا وافرا، ينظر كل منهما إلى الآخر نظر إزدراء واحتقار فان الحاجة كانت ماسة لإنشاء جسر يخدم كرابطة بين الفكرتبن المادية والإسلامية، ولأجل ذلك تم تشكيل جماعة باسم ندوة العلماء.

" فقد أسس ندوة العلماء الشيخ محمد علي المونجيري، ونخبة من العلماء ومن بينهم العلامة شبلي النعماني، وكان من كبار مساعديه الشيخ عبد الحئي الحسني وكان كلاهما من

مسترشدي الشيخ فضل الرحمان الكنج مرادآبادي"٢٦

ومما هو جدير با الذكر أن دارالعلوم بند وة العلماء لم تعتني بكتب الفلسفة والمنطق المدروستين فى دار العلوم بديوبند بإهتمام وتوجه.

التنصيروالتبشير:

كما هو معلوم أن المسيحيون ينشرون دينهم في شبه القارة الهنديه منذ أن دخلوا .

لكن هذه الحركة نشطت بعد فشل ثورة ١٨٥٧م، وأخذ دعاة المسيحيين يذهبون في القرى والمدن، يدعون الناس إلى المسيحية علنيا، ويشنون الهجمات على العقائد الإسلامية والشريعة المحمدية، ويعلنون أن دولة الأسلام قد زالت وأن عهده قد انقضى و قد دخلت الهند في الحكم المسيحي فللمسلمين أن يقبلوا على دين الحكومة، وكثيرا ماكان أفراد الجيل ينسلخون عن الإسلام، ويتعلمون ويتدربون في مدارس الحكومة التي كان يدير ها الإنجليز، وتجاوزوا كل حد من الأخوة والبشرية يبثون الدعاية المسمومة ضد الإسلام والمسلمين، وتعقد الحفلات والإجتماعات في الأماكن العامة. وملخص القول أن المسيحيين يبذلون قصارى جهدهم لتحويل هذه البقعة من الأرض إلى بلد مسيحي كما يتبلور هذا من قول أحد مسؤل حكومي:

'إنيعلى يقين بأن جميع الناس هنا يعتنقون المسيحية كما إعتنق المسيحسة آبائنا بأسرهم، وتلقى الديانة المسيحية تنفيذها في طول البلاد وتسري فيها عن طريق لقساوة مباشرة ومن خلال

الكتب والصحف وإحتكاك الأوروبيين غيرت مباشرة "٢٧

وكانت هذه الحالة فبرز علماء ديوبند أوائلهم وطليعتهم، فناظروا من هؤلاء دعاة التنصير والتبشير، وأظهروا لهم صدق الإسلام، وأجابوا عن جميع مطاعنهم على الإسلام والقران، ومن أشهر منا ظراتهم منا ظرة الشيخ رحمت الله الكيرانوي (مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة) والإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس دارالعلوم ديوبند، وقد حرض الشيخ النانوتوي تلامذته على ذلك، وأمرهم أن يخرجوا إلى الأسواق والمجامع يعظون الناس ويردون على دعاة التنصير الذين كانوا من كل حدب ينسلون، وكل نا د يقصدون.

وتنبه الشيخ محمد رحمت الله لأخطار النصرانية المحدقة لمسلمي الهند، وضخامة الجهود التي يبذلها المنصرون لمساعدة الإستعمار، فترك وظيفة التدريس ودرس النصرانية في مصادرها الأصلية حتى فاق علماء ها المتخصصين، ثم بدأ يؤلف كتبه للرد عليهم، وهناك مناظرة شهيرة للشيخ رحمت الله من القس الفندر الذى تحدى علماء المسلمين في العالم الإسلامي ـ ألف كتابه (ميزان الحق) وقامت هذه المناظرة التاريخية في ١٨٥٤م فيأكبر آباد الشهيرة اليوم بمدينة آكره) إحدى مجالات النشاط التبشيري فيالهند.

"وحضرها ولاة المديرية وولاة الثكنة الإنجليزية من الإ نجليز، وعدد كبير من أعيان البلد ووجهائه أسفرت هذه المناظرة عن إعتراف القس فندر بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل، وتزايد عدد الحاضرين في الغد كما أن إزداد عدد الحكام الإنجليز، والمسيحيين والهنادك والسيخ وظهر ضعف

(فـنـدر) في المناظرة وتعنته ولم يرجع القس إلى المناظرة في اليوم الثـالـث وأصبـح شـعـارا لـــه أنـــه إذاعـلم بوجود الشيخ في مكان غادره"٢٨

وهـكـذا نـرى كثيـرا مـن العلماء الذين بذلوا الجهد المستطاع في دحض التبشير والتنصير في القرن التاسع عشر في شبه القارة الهندية وحتى الآن.

الديانة الهندوكية وجماعة آريه سماج:

هـذه فـرقة تـنتسـب إلى الهندوكين، لما قام دعاة التنصير وأقاموا أسواقهم فـي أنـحـاء البلاد الهندية، وقد بلغوا في هجومهم على الإسلام وتبججهم بدينهم مبلغا عظيماحتى يجرؤا على مطالبة المسلمين علنيا بنبذ دينهم، ويؤ لفون الكتب لإشـاعة أفكارهم ومعتقداتهم، فطمعت جماعة من الهنادكة وهم من غلاتهم في إيـمـان عـامة الـمسـلمين الغر الغافلين، فوقفوا ضدالإسلام وتحدوا أهل الإيمان متبـعـا بـخـطى النصارى فتصدى لهم علماء الإسلام ونا ظروهم وكان في طليعة هؤلاء.

" الشيـخ مـحـمد قاسم النا نو توي الذي حين رجع في ١٢٩٥هـ الـمـطـابـق ١٨٧٧م إطـلع على قدوم السيد ديا نند جي (مؤسس جـمـاعة آريـه سماج) فذهب إليه للمناظرة، لكنه فر. ثم سمع أنه الآن فـي مدينة "ميرت " حيث يوجه الخطاب ضد الإسلام فتوجه إليهـا لـكـن ديـانـنـد لـم يستطع أن يواجهه فغادر مدينة ميرت إلى موضع آخر"٢٩

وهكذا الشيخ محمود الحسن والشيخ فخر الحسن و أيضا الشيخ ثناء الله

قام بجهود مكثفة لدحض أباطيلهم.

نـا فـــــذة على الفرق المنحرفة عن الإسلام و نبذة من نشاطاتها في النصف النهائي للقرن التاسع عشر:

(١) أهل التشيع:

إن هـذه الـفـرقة ظهـرت في القرن الأول للهجرة حين نشبت المعركة بين عـلـى و مـعـاوية رضـي الـلـه عـنهـمـا، و تـفـرقـوا في شتى الفرق فمنهم من يدعى إسـمـاعيـلية، أو زيدية، أو إثنا عشرية، لكن هنا في الهند قد تم لهم النفوذ في عهد شاه جهان كما يكتب الشيخ منا ظر أحسن الكيلاني:

"قـد تـم لهـم النفوذ في عهد شاه جهان، وفي العصر الأخير لحكم الـمـغـولـي في عهد بهادر شاه الأول و كانوا يتولون على كثير من الـمـنـاصـب فـي الـحـكومة، وقد أصدر بهادر شاه الأول مرسوما بـصـدد حـذف أسـمـاء الـخـلـفـاء الـثـلاثة مـن خـطبتي الجمعة و العيدين" ٣٠

وفـي الـقـرن الـتـاسـع عشـر أيـضـا لـم يزالوا لايألون جهدا في إثارة الفتن، و السعي للفساد و تدخلوا في كثير من الأمور الدينية و الدنيوية.

(٢) النياجرة:

و مـن تـلك الـفـرق الـنياجرة معرب من نيجر أي (الطبيعة) هؤلاء يقدمون الـطبيـعة عـلـى أحـكـام الإسـلام، و كـانوا ينكرون المعجزات، و يحرفون القران،

ويعبرون عن الإسلام حسب ما تهوي أنفسهم .

(٣) البهائية

هذه الفرقة تنسب إلى بهاء الله وباب الله، وأنهم أبطلوا بقاء الشريعة الإسلامية المحمدية، والعمل بالقران الكريم، وجاؤا بدين جديد وادعوا نبوة مستقلة.

(٤) جماعة خاكسار:

وهي فتنة عنايت الله المشرقي الذي شكل جماعة وسماه خاكسار تحريك، وهي حركة كانت تقوم على المناورات العسكرية، وقائدها عنايت الله الذي تثقف بالثقافة الغربية وتخرج في جامعات باريس، ولندن، وتأثر بالنفوذ الغربي، وألف كتابا باسم "التذكرة" وملأه بالإلحاد والزندقة، واقتنع بأن القوة والنظام هو المقياس الحقيقي للحق، والمكانة عند الله وكان يعتبر كثيرا من الشعائر الإسلامية والأفكار الدينية رجعية.

(٥) الجكرالوية:

وهي فتنة عبد الله الجكرالوي الذي ألف كتابا باسم "كتاب الفرقان على صلوة القران" قد أنكر فيه الحديث وحجيته، وأنكر صلوة العصر وصورتها الماثورة المتواترة.

(٦) الآغا خانية:

هؤلاء ينسبون إلى آغا خان ويغدقون الحب له، ويعبدون صورته،

ويعتقدون فيه الحلول وينكرون الصلوة المعهودة. ٣١

(٧) القاديانية:

إن الفتنة التي واجهتها الأمةالإسلامية وابتليت بها الشريعة الإسلامية الغراء لاتكاد تحصى، لكن الفتنة التي أثيرت في الهند في أواخرالقرن التا سع عشر الميلادي كانت من أبشعها صورة، وأخطرها على كيان الإسلام، وأنفذها في قمع شوكة الإسلام بل أنه قد خرج كل فتنة أبتليت بها عبر القرون، وهي فتنة عرفت بالقاديانية وليست هي كالفتن العادية بل هي تمتاز من بينها بكونها خروجا على العقيدة الإسلامية، و لأجل ذلك علي أن أسهب في الكلام على القاديانية وواضعها.

قد ظهرت هذه الفرقة فيالهندحينما كانت نار الحرب مستعيرة في ربوعها بين الإسلام والمسيحية، وبين المشرق والمغرب، وأخذ المستعمرون يبذلون أقصى جهودهم لدعم كل حركة معادية للإسلام للقضاء على الدين، و إضعاف قوة المسلمين، فانتهزغلام أحمد القادياني هذه الفرصة للحصول على ولاء الإنجليز، وأخذ يعمل كعميل للحكومة الإستعمارية:

"وقد لوحظ عليه من بداية أمره البساطة والغرارة، و قلة الفطنة، والإستغراق، فكان لا يحسن ملأ الساعة، وكان إذا أراد أن يعرف الوقت وضع أنملته على ميناء الساعة وعد الأرقام عدا، وكان لايحسن لبس الأحذية الإفرنجية الجديدة، ولا يميز الأيمن منها من الميسرحتى يضطر لذلك إلى وضع العلامة عليها با لحبر"٣٢

بـدأ حياته في تقشف وزهادة، لكن حين تبوأ الزعامة الدينية إتسع له الرزق فيتنـاول الأغـذية الـمـقـوية الثـمينة، وكـان يتعاطى بعض الأحيان بعض أ نواع المشروبات المقوية المسكرة.

إنحرافه عن الإسلام

أنـه قـام أولاداعيـا إلـى الإسـلام، لكنه سرعان ما كشف اللثام عن وجهه الـقبيـحة، وأخـذ يـدعـي إدعـاء ات لاتـطـابـق أيدلوجية الإ سلام في شيء فأنكر عـقيـدةختم النبوة، وادعى أنه هو المسيح الموعود، وأثبت لنفسه الوحي والنبوة، وأنـكـر رفـع عيسـى عليه السلام إلى السماء وأبطل الجهاد، والحكومة البريطانية كـانـت تقدم إليها كل نوع من الدعم والمساعدة، فاستفحل الأمر، وتفاقم الشر، رغـم أن غـلام أحمد كان مصابابنوع من الجنون ورغم كل ما صدر من دعاوي بـا طـلة ومـضـحـكة كـانت الحركة تمتد في سائر أقطار شبه القارة الهندية، فقام عـلـمـاء الهند للتصدي له، وكان في طليعتهم علماء دارالعلوم ديوبند أمثال الشيخ الـمـحـدث الـكبيـر العلامة أنور شاه الكشميري، والشيخ أشرف علي التها نوي، والشيـخ إدريـس الـكـانـدهـلـوي، والـمـفتـي مـحمد شفيع العثماني، وثنا ء الله الأمـرتسـري، وأقيـمـت الـمـنـاظـرات، وألقيت الخطب، وألفت الكتب لدحض أباطيل القاديانية.

مزاعمه الباطلة

وإليك بعض مزاعمها الباطلة على النموذج، منهادعوته إلى تائيد الإنجليز وإلغاء الـجهـاد، يـدعـي أنـه مـامور من الله تعالى ومرسل من عنده، ويمدح أكبر فراعنة

عـصـره الإنـجـليز، ويحرض على تائيد الحكومة الغاشمة التي إغتصبت المملكة الإسـلامية، ويـطبق على نفسه هذه الآية **(إنـا أرسـلـنا إليكم رسولاشاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا)** الإمام الندوي ينقل قوله:

"لقد قضيت معظم عمري في تائيد الحكومة الإنجليزية، ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر (الإنجليز) من الـكتب، والإعلانات، والنشرات ما لوجمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة" ٣٣

إدعائه با لنبوة والرسالة:

ومـن أوهـامـه المزعومة هوأن الله أوحى إليه هذه الآية (إنا أنزلناه قريبا من الـقـاديان، وبا لحق أنزلناه وبالحق نزل، صدق الله ورسوله وكان أمرالله مفعولا) وفـي موضع آخر يقول: إن الاله الصادق هوالذي أرسل رسوله في القاديان " ٣٤ تكفير من لايؤمن بهذه النبوة

هـو يـكـفـر جـميع من لايؤمن بهذه النبوة حيث يقول "ستأسس جماعة وينـفـخ الله الصور بفمه لتا ئيدها، وينجذب إلى هذ الصوت كل سعيد ولا يبقى إلا الأشقياء الذين حقت عليهم الضلالة، وخلق ليملأوا جهنم "٣٥

وأيـضـا جـاء فـيأحـد إلهامه نشره يقول فيه: الذي لايتبعك ولايدخل في بيعتك، ويبقى مخالفا لك عاص لله ورسوله وجهنمي.٣٦

المسيح الموعود

"فـوالـله إني أنا ذلك المسيح الموعود فضلا من الله المنان الودود "٣٧

وأيضايقول"إن المسيح الموعود الذي يرقبونه، والمهدي المسعود الذي ينتظرونه هوأنت تفعل ما تشاء فلا تكو نن من الممترين"٣٨

سبب وفاته:

وقد بذل الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري، وتلميذه الشيخ ثناء الله الأمرتسري الجهودالمضنية لإبادة هذه الفرقة الباطلة، وتحداه عام ١٩٠٧م الشيخ ثنا ء الله الأمرتسري وباهله مباهلة الموت على أن يموت الكاذب في حياة الصادق، ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داء مثل الهيضة، والطاعون، يكون فيه حتفه، وفي شهر مايو ١٩٠٨م أصيب با الهيضة، فهلك القادياني شر هلاكة، وبقي الشيخ ثنا ء الله حيا بعد وفاة القادياني قريبا من أربعين سنة الشيخ الندوي يكتب:

"أما مولانا ثناء الله الأمرتسري الذي تحداه مرزا غلام أحمد فقد عاش بعد موته أربعين سنة، وتوفي إلى رحمه الله تعالى في ١٥ من مارس سنة ١٩٤٨م وهو في الثمانين من عمره، وانطبق على المرزا ماقاله في إعلانه المؤرخ ٥ من ابريل ١٩٠٧م إن كنت كذابا ومفتريا كما تزعم في كل مقالة لك في سأهلك في حياتك، لأنني أعلم أن المفسد الكذاب لا يعيش طويلا، وفي عاقبة الأمر يموت ذلا، وحسرة في حياة ألد أعدائه حتى لا يتمكن من إفساد عباده"٣٩

فهلك القادياني شر هلاكة وبعد ذالك لم تقم لهم طاقة، لكن نرى اليوم أن

بعضا من متبعيه يقومون بهذه الأعمال، ويشوهون صورة الإسلام إدعاء بأنهم المسلمون رغما من أنهم خرجوا من الإسلام كليا بأن عقائدهم لا تنطبق على الإسلام في شيء ونرى أن بعضا من الحكومات المعادية للإسلام تقوم بدعمهم، ومساعدتهم، ولهم الآن قناة خاصة في بريطانية، ينشرون عبرها برامجهم في العالم كله.

المراجع

١)السيد سليمان الندوي، عرب وهند کی تعلقات، ط ١٩٩٢ مطبع معارف أعظم کره ص:٧ الطبعة الأولى .

٢)عبدالمنعم النمر ، كفاح المسلمين في الهند، ص١٩ الناشر مكتبه وهبة ص١٩ ط ١٩٦٤م)

٣)أبو الحسن علي الندوي، القراءة الراشدة ص٢٢.

٤)السيد محمد ميان، شاندار ماضي، ج ٢ ص ٢.

٥) أبو الحسن علي، المسلمون فى الهند، ص١٤٦=١٤٧

٦)الداعى، عدد خاص، مارس وابريل ١٩٨٠م ص ١٣.

٧)عبد المنعم النمر، كفاح المسلمن فى تحرير الهند، ص ٣٠ ط١مطبعة وهبة=

٨)ايم اى صديقي، هستري آف مسلم، ص ٤٠٣.

٩) Bipan Chandra . India s struggle for independence. p.ص٣١

١٠)التدوي، المسلمون في الهند، ص ١٥٣ نقلا عن عروج سلطنت انكليشة للأستاذ ذكاء الله الدهلوي ص٧١٢.

١١)ايضا..... ١٥٧ نقلا عن اندين مسلمان دبلو دبلو هنتر ص١٨٥.

١٢) سيد محمد ميان، تحريك ريشمي رومال، ص ١٠٨ تقلا عن همارى هندوستانى مسلمان ص ٣٧ =٦٠

١٣)عبيد الله، دارالعلوم مدرسة فكرية، ص٢٩٥ ط٢٠٠٠م.

١٤) السيد محمد ميان، تحريك ريشمي رومال، ص١١٥.

١٥)عبيد الله البستوي، دارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية، ص ٢٩٨ أيضا الداعي ص٥٣، ايضا محبوب رضوي، تاريخ دارالعلوم، ج١ ص٢٤٧

١٦) الندوي، المسلمون في الهند، ص ١٦٢، أيضا عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين ص ٣٩ =ريشمي رومال ص١٢٤ايضا اسير ادروى تحريك آزادي اور مسلمان ص١٤٣=١٤٤.

١٧) مقدمة ثقافة الهند المجلد ٥٢، العدد ١ ط٢٠٠١م.

١٨) ايم اى صديقي، تاريخ المسلمين، ص ٤١٨=٤١٩.

١٩)عبدالمنعم النمر، كفاح المسلمين ص٤٤أيضاعبد الحق حالات وافكارص١٦٢اردو مركز اردو بازار ط ١٩٦٢

٢٠) ايم اى صديقي، هستري آف مسلم، ص ٤٣٠.

٢١)عبد المنعم النمر ، أبوالكلام آزاد، ج١، ص٣٥.

٢٢)أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، ص ١٦٩ =٦٠.

٢٣)عبد الحق، سر سيد أحمد خان حالات و أفكار ص٦٩

٢٤)نفس المرجع، ص١٦٣.

٢٥)عبد المنعم، كفاح المسلمين، ص٦٩. ايضا المسلمون في الهند ص ١٦٠.

٢٦)واضح رشيد الندوي، الدعوة الاسلامية ومنا هجها في الهند، ص ٩٤ أيضا أبو الحسن على الندوي، ألقراة الراشدة ج ٣ص ١٧١.

٢٧)أشفاق أحمد، مساهمة الهند في النثر العربى خلال القرن العشرين، نقلا عن مودرن انديا (بائبان تشاندرا ص١٣٧=١٣٦ ايضا عبيد الله دارالعلوم مدرسة فكرية ص ٢٤١=٢٤٢.

٢٨)عبيدالله، دارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية، ص٢٤٨=٢٤٩

٢٩)محبوب رضوي، تاريخ دارالعلوم ج ١ص ١١٩ ط١٩٩٢

٣٠)منا ظر أحسن كيلاني، سوانح قاسمي، ج ٢ ص ٦٠= ٦١مكتبة دارالعلوم ديوبند.

٣١)عبيدالله البستوي، دارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية، ص ٢٣٥=٢٣٧ملخصا

٣٢)ابوالحسن علي الندوي، القادياني والقاديا نية ص ٣٢ نقلا عن كتاب البرية ص ١٥٥ (الهامش).

٣٣. الندوي، القادياني والقاديانية، ص ٩٤نقلا عن ملحق شهادةالقران.

٣٤) غلام أحمد القادياني، دافع البلاء فى روحاني خزائن، ج ١٨ ص٢٣١.

٣٥)الندوي، القادياني والقاديانية، ص٧٣ نقلا عن براهين أحمدية ج ٥ ص ٨٢.

٣٦) غلام أحمد ألقادياني .ألتذكرة ص ٣٣٦.

٣٧)القادياني، دافع البلاء ص١٣١.

٣٨)القادياني، التذكرة ص٢٥٧

٣٩) أبوالحسن علي، القادياني والقاديانية، الهامش ص٢٧

الباب الثاني:

التقدم إلى مركز ثقافي للمسلمين

الفصل الأول:

تأسيس دار العلوم ديوبند (التعارف)

الفصل الثاني:

الشيخ إعزاز علي حياته وأعماله (دراسة وجيزة)

التقدم إلى مركز ثقافي للمسلمين

إن الظروف التي كانت تمر بها الهند في النصف النهائي للقرن التاسع عشر كانت ظروفا شديدة قاسية، ليست للهند فحسب، بل للعالم الإسلامي كله، لأنها كانت تمر بأحوال متشابهة، وأوضاع متماثلة، فكان أغلب البلدان الإسلامية يرضخ تحت وطاة الإستعمار الغربي، وكانت الدول المستعمرة قد تكاتفت وتضافرت على محو الإسلام، وإقصائه عن المجال الحيوي، والعملي، وذلك لأن الإستعمار ينظر إلى المسلمين شذرا لأنهم كانوا في مقدمة التمرد الهندي، وأيضا أنهم هم الذين يستحقون لإدارة الحكومة المسلوبة عنهم، فوقعت المعارك بين الهنود والإنجليز لكن دون أية فائدة ملموسة، وبجانب آخر قام الإنجليز بعملية التشكيك لتدمير ثقافتهم، و إحداث التشتت الفكري بينهم، والمسلمون بدأوا يتفرقون إلى شتى الفرق والجماعات، فخاف العلماء على علوم الدين ومستقبل الإسلام، وكانوا فقراء ومستضعفين في الأرض رأس مالهم الدين، وزادهم التوكل، فتفكروا ببناء معقل ديني مركزي لبث الروح الإيمانية في قلوب المسلمين، ولتوحيد صفوفهم، وجمعهم على منصة واحدة للحفاظ على التراث الإسلامي الأصيل، وللتخريج منها دعاة الإسلام، والعباقرة للدفاع عن الدين الحنيف.

الفصل الأول

تأسيس دارالعلوم ديوبند (التعارف)

إن جامعة دارالعلوم هي من أعرق الجامعات في شبه القارة الهندية التي أسسها قاسم العلوم الإمام محمد قاسم النانوتوي سنة ثلاث وثمانين ومأتين وألف من الهجرة، بعد الفشل في ثورة ١٨٥٧م للحفاظ على بقايا التراث الإسلامي، ولمكافحة تيار الغرب المدني والثقافي، الشيخ واضح رشيد يكتب :

"وبعد فشل الثورة في سنة ١٨٥٧م لم يرى العلماء أمامهم طريقا إلا فتح المدارس العربية، والمعاهد الدينية، فأنشأو هذه المعاقل ليحتفظو ببقايا الحياة الإسلامية، وليكافحوا تيا رالغرب المدني والثقافي، ويخرجوا منهادعاة الإسلام، وعلماء الدين، فأسس الشيخ محمد قاسم النا نوتوي مدرسة ديوبند سنة ١٢٨٣هـ" ١

لكن قبل أن أركز الأضواء على دور دارالعلوم في نشر الثقافة الإسلامية وعنايتها بالقرآن، والسنة، والأدب العربي، أريد أن أبين ما هى الديوبندية، لأن كثيرا من الناس نراهم يقعون في الخطأ في فهم معنى الديوبندية، ولايدركون ماهي الديو بندية:

إن ديوبند إسم لقرية كانت في الأصل (ديوي بن) ديوي أي معبودة، و كلمة "بن" بمعنى الغابة أي غابة المعبودة، جرت فيها الإضافة المقلوبية.

ولما كانت جامعة دارالعلوم ديوبند حركة ودعوة،

فالإنتساب والإنتماء إلى دارالعلوم ديوبند لايختص بالتعلم والتخرج، كما أنه لا يختص بالتوطن والسكنى بها بل هوعام يشمل كل من سار مذهب أهل السنة والجماعة،أي الذين ينبع فكرهم من فكرالشيخ مجدد الألف الثاني أحمد بن عبد الأحد السرهندي م١٠٣٤هـ المطابق ١٧٦٢م فمن فكر الإمام ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم م ١١٧٦هـ /١٧٦٢ ويتصل بفكر مؤسسي دار العلوم ديوبند الإمام محمد قاسم النانوتوي م١٢٩٧هـ/١٨٨٠م ورشيد أحمد الغنغوهي م١٣٣٢هـ/١٩٠٥م والشيخ محمد يعقوب النا نوتوي ١٣٠٤هـ/١٨٨٤م سواء كانوا من خريجي جامعة ديوبند، أم مظاهر علوم، أم من غيرهما من المدارس الكثيرة المنتشرة في البلاد الهندية وفي غيرها أيضا من بلاد الغرب والشرق " ٢

دارالعلوم أهدافها ومحافظتها على الكيان الإسلامي:

إن دارالعلوم منذ أول يومها وجهت عنايتها إلى الإحتفاظ بالعقيدة الإسلامية، وإستعادة المجد الإسلامي، وبث التوعية الإسلامية وإشعال روح الغيرة الإسلامية، ومخالفة كل شيء مخل بالثقا فة الإسلامية، والأمورالدينية وشؤونها، وأنها تخاصم كل ثقافة إنجليزية، بل كل ملبس ومظهر إنجليزي، ولا زال هذا المبدأ سائدا في هذه المدرسة وأمثالها إلى الآن، ويعتبر ذلك مثلا حيا في المحافظة على الكيان الإسلامي، كما نرى عند ما طار صيت دار العلوم ديوبند

تهافت عليها طلبة العلوم من أنحاء العالم، كالحجاز، واليمن، وفلسطين، والجزائر، وتونس، وبخارى، قازان، والصين، وغيرها، فنجد عددا هائلا من الذين انتهلوا من هذه المورد العلمي الفائض، ولهم مكانة بارزة في مصاف أهل العلم ينظر إليهم نظرة الإجلال، وتسمع كلمتهم لدى الشعب، فنجد عددا من العلماء استفادوا مباشرة أو غير مباشرة، وانتشروا في هذه البلدان المختلفة، وسعوا في نشر الثقافة الإسلامية على وجه الأرض تدريسا وتبليغا وإرشادا في عدد لايحصى، فكم من مبلغ وداع إلى الله، هذا هو شيخ الإسلام حسين أحمد المدني فاضل دارالعلوم ديوبند قد جلس في الحرم النبو ي مدة ١٧ سنة يدرس العلوم الدينية ويتهافت عليه الطلبة من البلدان العربية القاصية، والمجاورة كالحجاز وغيرها، وهذه هي المدرسة الصولتية في مكة المكرمة التي قد تجاوزت شهرتها الآفاق بصدد نشر العلم والثقافة الدينية، وقد نرى علماء دارالعلوم في أقطارالقارة الأفريقية العظيمة يولون عمل التدريس للعلوم الإسلامية في المعاهد والمدارس، وهذه هي جماعة تبليغ أكبرحركة إسلامية للدعوة والإرشاد في العالم قد انتشردعاتها في العالم، ونشروا كلمة الإسلام، فكم من مستهزء بالاسلام خشعوا له، وكم من كافر وغير مسلم قد أسلمو وتابوا، فبفضل الله تعالى هذه المدرسة تقوم بمهمتها منذ أول يومها ولاتزال إن شاء الله تعالى.

المنهج الدراسي لدار العلوم:

كما نعلم أن المسيحيين كانوايبذلون أقصى الجهود لتشويه صورة الإسلام ومظاهره، فتأسيس دارالعلوم تم في هذه الأوضاع العنيفة للحفاظ على مباديات الإسلام.

ولأجل ذلك نرى علماء دارالعلوم الربانيين ركزو عنا يتهم بالتفسير، وأصول التفسير، والحديث، والفقة كما أنهم اهتموا بالمنطق والفلسفة والكلام فيالمنهج الدراسي، لا لأن هذه العلوم مقصودة بذاتها، بل لأنها تؤدى إلى فهم العلوم الدينية، وتساعد في إذكاء أذهان الطلبة، وإعدادهم للبحث والمناقشة، والرد على من يوجهون النقد والإعتراض إلى ديننا الإسلام، وقد نجحوا في هذ الهدف النبيل بنسبة مأة في المأة، لأننارأينا في السنوات الماضية وحتى الآن أن أبناء دارالعلوم قد قاموا بمنا ظرة عديدة مع الأعداء، وهزموهم هزيمة فاحشة لم تقم لهم طاقة بعد ذلك.

دارالعلوم وعنايتها با لقرآن والسنة

كما نرى أن علماء دارالعلوم قد جعلوا مادة التفسير جزء ا من منهجها الدراسى منذ يومها الأول، أما مؤلفاتهم في التفسير كثيرة فللشيخ محمد قاسم كتاب باسم "أسرار قرآني" بالفا رسية، وترجمة الشيخ محمودحسن المعروفة "بترجمة شيخ الهند" وهكذا "بيان القرآن" للشيخ أشرف على التهانوي، تفسير بديع لم ينسج على منواله، لأنه اهتم فيه بيان التنا سق بين الآيات و"مشكلات القرآن" للشيخ أنور شاه الكشميري يشمل المعضلات التي يواجهها الإنسان حين دراسة القرآن، وهكذا"معارف القرآن " للمفتي محمد شفيع العثمانى، أما الكتب التي يتعلق بعلوم القرآن فلا يمكن إحصائها فلكل من الشيخ عبيد الله السندي، والعلامة منا ظر أحسن الكيلاني، والعلامة شبيرأحمد العثماني كتب ورسائل عديدة.

الحديث النبوى:

أما دورهذه الجامعة ومشيختها في نشرعلوم السنة، وخدمة الحديث النبوي معروف، لايحتاج إلى الدلائل، ونذكر هنا بعضا منها على سبيل المثال:

قد نرى عندما قام الشيخ أحمد على بنشر صحيح البخاري لأول مرة في بلاد الهند، فالشيخ محمد قاسم النانوتوي قد ساعد أستاذه الشيخ محمد على في التعليق على صحيح البخاري، حيث وكل إليه شيخه التعليق على الأجزاء الخمسة الأخيرة، وأيضا المحدث رشيد أحمد قد نشرت من أماليه في درس الحديث "لامع الدراري" على جامع الإمام البخاري و"الكوكب الدري"على سنن الترمذي وهكذا من تلامذتهم من نبغوا، ولعبوا دورا بارزا في ترويج علوم السنة، ومن أبرز هؤلاء المحدثين الشيخ محمودحسن ومن آثاره تعليقات على سنن أبي داؤد وأماليه الوجيزة على سنن الترمذي وشرح تراجم أبواب البخاري، وحكيم الأمة أشرف علي التهانوي صاحب المؤلفات الكثيرة ومن مؤلفاته في الحديث "جامع الآثار" و"تابع الآثار" و"أعلاء السنن" لابن أخته ظفر أحمد التهانوي، وهي في ١٨ مجلدات لتقريب الفقه من الحديث، وتقريب لحلم الإمام ولي الله، وخدمة مشكورة للسنة لاتكاد توجد لها نظير، و"فيض الباري" شرح صحيح البخاري للمحدث الكبيرالعلامة أنور شاه الكشميري، وله أيضا العرف الشذي على جامع الترمذي، والشيخ حسين أحمد المدني له "المعارف المدنية" أجزاء من أماليه على سنن الإمام الترمذي، الشيخ حبيب الرحمان قام بدور رائع في هذا المضمار وكتبه خير مثال لتضلعه من علوم الحديث، ودقة

الـنـظـر في رجال الحديث وغريبه وها هي تعليقاته على كتاب الزهد لابن مبارك، وسـنـن الإمام سعيد بن منصور، والمسند للإمام الحميدي والمصنف للإمام عبد الـرالزاق وهو أول من أخرج هذ الكنز الثمين وجعله في متناو ل الباحثين، وهكذا غيره من العلماء الذين، ألفوا كتبا قيمة في علوم الحديث لايحصى عددهم.

دارالعلوم واللغة العربية :

إن دارالـعـلـوم ديـوبند قد ركزت في منهجها الدراسي على مـــادة اللغة الـعـربية كـوسيـلة أساسية للإستفادة من القرآن الحكيم، والأحاديث النبوية، لأنه لايـمـكن فهمها وإستنباط المسائل منها إلا بالتضلع من اللغة العربية، وقد أنجبت دارالـعـلـوم عبـاقـرة الأدب وأفذاذه يستحق أن يعد في قائمة الشعراء المطبوعين، والأدبـاء الـمـجيدين، لأنهم يحملون ذوقا أدبيا سليما، ويصوغون القصائد باللغة الـعـربية، ويتـجـاذبـون أطـراف الأنـاشيـد فـي المناسبات العديدة، ومنهم الشيخ ذوالفقار علي، وله قصائد بديعة في اللغة العربية، ومؤلفات أدبية نادرة ومن أهمها : شـرح "ديـوان الـحـمـاسة" وشـرح "ديـوان الـمتـنبي" ومنهم الشيخ أنور شـاه الـكشـميـري، والشيـخ حبيب الرحمان العثماني كانا أديبين متذوقين، ويمتلكان مـقـدرـة فـائـقة على قرض الشعر،كما أنهما كانا صاحبي دواوين، والشيخ إعزاز عـلـي كـان مـن الشـعـراء والأدبـاء البـارزين، له شروح وتعليقات على كل من "الـحماسة" و"ديوان المتنبي" والمقامات الحريرية"وهكذا الشيخ محمد يوسف البـنـوري قـد إعتـرف الـعـرب بـقـدرته الخارقة على اللغة العربية، والشيخ محمد إدريـس الكاندهلوي، والشيخ بدرعالم الميرتهي، فمؤلفاتهما في علمي الحديث والأدب مؤشرة على براعتهما ومهارتهما في اللغة العربية وآدابها.

ومنهم من قام بإعداد المعاجم كالشيخ زين العابدين، وله "بيان اللسان" و "قاموس القرآن" والأستاذ عبدالحفيظ البلياوي قام بتأليف "مصباح اللغات" الذي لقي إعجابا في الأوساط العلمية والحلقات الأدبية.

أما قواميس اللغة العربية المعاصرة فللأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي قصب السبق في هذا المضار، لأن قواميسه تحمل المصطلحات العربية الجديدة التي قد أصبحت جزء لا ينفك بطلاب اللغة العربية، أهمها "القاموس الجديد" في مجلدين :

١) من الأردية إلى العربية.

٢) من العربية إلى الأردية. و "القاموس الإصطلاحي" في مجلدين وهكذا قاموس الوحيد" في مجلدين ضخيمين من العربية إلى الأردية، وغيرذلك من الكتب الأخرى، وها هي جريدة "الداعي" التي تصدرعن الجامعة قد طار صيتها شرقا وغربا في نشر اللغة العربية وآدابها في أحسن أساليب.

الفصل الثاني:

الشيخ إعزاز علي حياته وأعماله (دراسة وجيزة)

ولادته وأسرته:

الشيخ إعزاز على بن مزاج علي الملقب بإعزاز العلماء، المعروف بشيخ الفقة والأدب قد طلع هذا الكوكب العلمي المنير على أفق مدينة"بدايون" بولاية اترابراديش بشمال الهند في ١٢٩٩هـ وهو سليل أسرة "كمبوه" المشهورة في هذه المنطقة، وأجداده كانوا يستولون المناصب العليا في المعسكر الملكي، وكان موطن جده بحي شاه جبوتره ببلدة "أمروهة" بمدينة "مرادآباد" في نفس الولاية وقرأ الكتب البدائية، وحفظ القرآن الكريم تحت إشراف الشيخ شرف الدين.

إلتحاقه بمدرسة كلشن فيض:

ثم التحق بمدرسة كلشن فيض بقرية "تلهر" بمدينة شاه جهان بور، وبعد ذلك التحق بمدرسة "عين العلم" عندما انتقل والده إلى مدينة شاه جهان بور كموظف حكومي،حيث تلمذ على الشيخ المفتي كفايت الله، والمقري بشيرأحمد، وتلقى النحو، والصرف، وقرأ شرح الوقاية، وبعض الكتب الفارسية، ثم شوقاه إلى الذهاب إلى دارالعلوم ديوبند للحصول على العلوم الكثيرة من جهابذة الأساتذة.

كيف وصل إلى ديوبند:

إن الشيخ إعزاز علي كان على محطة القطار لمدينة "بريلى" حيث وصل في قران أخيه مع، أعزائه وأقربائه، فوجد القطار التي كانت تريد المغادرة إلى مدينة سهارنبور، فركب دون أن يخبر أحدا، وغادرت القطار مدينة بريلي إلى مدينة سهارنبور لكن والدته عند ما اطلعت على هذه الواقعة بكت وصاحت وصرخت أيا إعزازي ليت لي أرى وجهك، وملخص القول إن الشيخ وصل إلى ديو بند، والتحق بأكبر الجامعات الإسلامية دارالعلوم ديوبند إذ ذاك مستنيرة بالعلم يتلالأمن العلماء الربانيين، أمثال الشيخ محمود الحسن، وحافظ محمد أحمد، والشيخ محمد سهول باكلبوري، والمفتي عزيزالرحمان، فأخذ ينهل من علومهم ولم يمض شهران إلا سمع نعى أمه، فخيمت عليه الهموم والأحزان، وكان يكرر ذكر هذالحادث الأليم ذا الذكريات المرةحيث يقول بنفسه:

أن صوت أمي المليئة بالشفقة والمحبة التي كنتُ سمعت عند مغادرة مدينة بريلي لها دوي دائم في قلبي، وأن حرماني من لقائها الأخير هي وصمة تبقي في قلبي للأبد" ٣

رحلته إلى مدينة ميرت:

وبعد مرور أشهر في ديوبند غادر إلى مدينة ميرت للقاء أخت له، فالتحق (بمدرسة قومي).

"وأخذ يتلمذ على الشيخ عاشق الهي، وقرأ العقائد والفلسفة والحديث، وبعد مرورسنتين أعرب عن رغبته إلى العودة إلى دارالعلوم، فباذنه حضرمرة ثانية فيدارالعلوم، وتلمذ على شيخ

الهـنـد، وقرأعليه الجامع الصحيح للإمام البخاري، والجامع للإمام التـرمـذي، والسـنـن لأبـي داؤد، والهـداية الآخـرين وغيرذلك من الـكتـب للفنون الأخرى، وقرأكتب المنطق، والفلسفة على الشيخ مـحمد سهول الباكلبوري، وكتب الأدب على الأديب الشيخ معز الـديـن، ويتـمـرن عـلـى أعـمـال الـفتـاوى علـى الشيخ المفتي عزيزالرحمان". ٤

وبـعد إكمال دراسته العليا للحديث، والفقه، والإفتاء، والأدب، والمنطق فـي دارالعلوم، وبعد التخرج في ١٣٢١ هـ المطابق ١٩١١م، تم إنتخابه لوظيفة التدريس في المدرسة النعمانية، بمِديرية "باكلبور" بولاية بيهار، وكان من عادات مسـؤلي دارالعلوم أنهم كانوايبعثون الطلاب الذين يمتلكون الصلاحيات العالية، والخبرات الفائقة إلى المدارس الأخرى، في أمكنة أخرى لإجراء الدرس، وخدمة الـديـن، ولـكـن بـعـد مـمارسة التجربة والحنكة في المضمار الدرسي إذا واقفت الأوضاع إستعادوا إلى دارالعلوم كما يكتب العلامة أنظرشاه:

"وكـان أكابر دارالعلوم ينتخبون الطلبة ذوي العلم والصلاحيات، ويـرسـلـونهم خارج ديوبند، وبعد أن تمت لهم سنوات وحصلت لهـم تجارب الدرس، وتأصلت صلاحياتهم ففي كثير من الأحيان إذا مسـت الـحـاجة، وتـدفـقت الضرورة، تم تعيينهم في دارالعلوم نـفسهـا، كـمـا حـدث مـع الـعلامة الكشميري، وشيخ الاسلام، والعلامة العثماني، وكثيرمن العلماء" ٥.

فـقـام بـخدمة التدريس بمدينة باكلبور إلى ٧ سنين، وبدأ الناس يشيدون

بمجهوداته ومساعيه.

لكن عندما تفاقمت الأوضاع، وحدث النزاع بين مشرفي المدرسة، والمبتدعين، إضطر إلى المغادرة إلى مدينة شاه جهان بور، وبدأ يدرس في "أفضل المدارس" ونهائيا تم تعيينه مدرسا في دارالعلوم عام ١٣٣٠هـ.

وكان في الإبتداء يدرس "علم الصيغة" و"مفيد الطالبين" ونور الإيضاح" وتدرج في علومه وفنونه إلى أن اشتهر بشيخ الأدب والفقه، ونجد عددا كبيرا من التلامذة الذين انتهلوا من منهله الماء العذب الصافي. وفي ١٩٤٢م تعين رئيسا لهيئة التدريس، ويدرس البخاري والترمذي وفي ١٩٤٥م قام بزيارة بيت الله الحرام برفق الشيخ حسين أحمد المدني، وفي ٨ من شهر مارس لبى داعي الأجل -برد الله مضجعه، وأحسن مثواه.

ذهابه إلى حيدرآباد:

وبعد القيام بالتدريس في دارالعلوم لمدة ٩ سنين غادر إلى حيدرآباد في١٩٣٩م برفق حافظ محمد أحمد حين دعى مفتيا لرياسة حيدراباد، حيث كان الشيخ محمد أحمد مفتيا للرياسة، لكن في الحقيقة من يقوم بأعمال وشؤن الإفتاء هو الشيخ إعزاز على، و بعد مرور سنة حين توفي حافظ محمد أحمد رجع إلى دارالعلوم، ونخب رئيسا لدار الإفتاء، ولم يزل يقوم بواجباته إلى١٣٧٢هـ.

حليته:

كان الشيخ صافي اللون مشرق المحيا، قوي الجثة، متوسط القامة، وكانت تظهرمن وجهه آثار الجلال والعظمة، وكان البشر يتلألأمنه.

أخلاقه وتدينه:

إن الشيخ إعزاز علي كان معلما مشفقا للطلاب، وكان يغدق الحب للطلاب المجتهدين الدائبين في أعمالهم، وهو في حنين إلى إستماع القرآن من الحفاظ الكرام، وكانت شفقته مزيجة من الرعب والجلال، وكان مبتدئا بالسلام بلا أي إمتياز بين الصغار والكبار تلميذه الرشيد العلامة أنظر شاه الكشميري يكتب:

"إن الشيخ إعزاز على كان عالما ربانيا فريدا لم تر العيون نظيره بعد مضي نصف قرن على تأسيس دارالعلوم إلى يومنا هذا، كان تقبا زاهدا في حطام الدنيا وزخرفها، ومتوكلا على الله ومشغولا با لتدريس، ومولعا بالتصنيف والتأليف محافظا على الميعاد، ومنصورا بالرعب مبتدئا بالسلام على الصغار والكبار دائبا عطوفا على الطلبة، وشفيقا بهم لا سيما الطلاب المجتهدون، وكان يكثر المطالعة والتدريس حتى أنه لم يتمكن من تفريغ أوقاته المزدحمة بالأعمال الرتيبة لطلاب المجتهدين المجدين المتذوقين للدراسة فإنه كان يهبهم فرصة ما للإستقادة من أوقاته المخصصة للإستجمام، فربما كان لا يجد وقتا للإ سجمام إلا ساعةأو ساعتين" ٦

الحب للخمولة:

كان الشيخ متواضعا ومتخشعا ومتضرعا إلى الله تعالى، ويتجنب البغض،

والحسد، والغمر، ويكره الصمعة والشهرة، ويحب الخمولة، كما أشار إليها في بعض أبياته:

خمولي أطيب العادات عندي وإعزازي لديهم فيه عار

نصائحه:

ذكرت أن الشيخ كان مشفقا للطلبة ولذا يسدى إلى الطلبة النصائح الغالية في كثير من الأوقات فإليك بعضا منها:

(١) يأيها الطلبة لعلوم الدين لا تنسوأن العلم موقوف على أمرين (١) بذل الجهود المضنية للحصول عليها، والتغافل عن كل شيء سواه، لأن العلم لا يعطي بعضه حتى تعطي كلك.ونعم ما قيل:

لم يأت للمرء علم في تنعمه فإن العلم في كلف ومن سام

وعلي رضي الله عنه:

لو كان هذالعلم يدرك بالمنى ماكان يبقى في البريةجاهل

فاجهدولا تكسل ولاتك غافلا فندامة العقبى لمن يتكاسل

وللشافعي رحمه الله:

الجديد في كل أمر شائع والجديفتح كل باب مغلق

ووأحق خلق الله بالهم إمرء ذوهمة يبلي بعيش ضيق

(٢) تعودواعلى روح التقوى القوية وإتباع السنة والإخلاص، وما هو أنتم أكثر إحتياجا إليه بالنسبة إلى الأول، وهو كما نقل من الإمام الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأوصاني إلى ترك المعاصي

فإن العلم نور من الـــــــهي ونورالله لايعطى لعاصي

ولا تبغي العز الدنيوي عوضا عن العلوم والسنة، وما أحسن القائل:

فاستغن عن دين الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(٧)

خصائص درسه:

إنه كان يدرس الطلاب في أسلوب رائع بديع، وانفرد في تدريس كتب الأدب، والفقه والحديث باستحضاره المدهش، وتغلغله في كثير من العلوم، وهو يهتم ببيان اللغة، والتركيب النحوي إلى جانب إعتنائه بعلم الإشتقاق، وعلم المعاني، والبيان، العلامة أنظر شاه يكتب:

وأضاف الأبحاث المتعلقة من بيان اللغة، والتركيب النحوي، وعلم الصرف والإشتقاق، وعلمي المعاني، و البيان في الدرس لم تسمعها الآذان من قبل"٨

وهكذا يكتب الشيخ منظور النعماني:

" أن الشيخ كان يدرس هذه الكتب في أسلوب جيد لو كان مصنفوا هذه الكتب أمثال العلامة المرغينائي، والإمام الترمذي، والقاضي البيضاوي، وإمرء القيس، وغيره من أصحاب المعلقات سمعوا درسه لفرحوا فرحا مسرورا بأن كتبهم تلقي حقها، وخصيصا درسه للهداية الآخرين كان يستهوي قلوب العلماء

الـذين قد درسوه مرارا وتكرارا فيشتاقون إلى التلمذ عليه، وبعضهم قاموا بتجسيدأما نيهم" ٩

درسه الأدب العربي:

كـان الشيـخ بـارعا في الأدب العربي، ويمتلك ذوقا سليما وملكة خاصة فـي هـذالـفـن، فـكـان يبين محاسن النثر، والنظم العربيين، ويمد الطلاب بالذوق الأدبـي السـليـم بـحيـث يتضح لهم المحاسن والقبائح، ويقدم التحقيق اللغوي، ويبـعـد الإبهـام والغموض عن العبارة ويستشهد با لقرآن والأحاديث، السيد عبد الأحديكتب :

كـان يـكثـرالتحقيق اللغوي، والتركيب النحوي، وأصول البلاغة، ويـقـدم لهم طريقة سهلة للترجمة، وفي كثير من الأحيان يستشهد مـن الـقـرآن الـحـكيم، والأحاديث النبوية، وأقوال السلف، ويكثر ذكر الألفاظ المترادفة كما أنه يقوم ببيان الفروق بينهما ١٠

درسه الأحاديث النبوية:

وكـان مـحـدثـا كبيـرا، وكـان لـه يـد طـولى في علوم القرآن والحديث، ويـحسـن درس الأحـاديـث بـأنه كان فقيها ماهرا، قد درس "مشكاة المصابيح" لمدة طويلة كما أنه درس"البخاري و "أبو داؤد "؛ فظهر للطلاب كأنه لا نزاع هنا عـلـى الإسـنـاد وهـكذا درس "الشمائل للترمذي،، فقام بحل اللغات، والتركيب النحوي، والترجمة السهلة الجيدة.

درسه للفقه:

وكانت له مقدرة تامة في الفقه، ويستظهر إختلافات الأئمة ودلائلهم، وكان يحير الطلبة بالنكات الفقهية، ويحل الإعتراضات الواردة بحيث لا يتعسر على أية طبقة من الطلاب:

"وإذا درس فيخيل إليه أن الأئمة الكرام ينطقون بلسانه، كمايبين مذاهب ومدلولات الأئمة متوالية، وبعد الفراغ من بيان القوة، والضعف، كان يوضح وجوه الترجيح للمذهب الراجح". ١١

إعزازه:

كان الشيخ إعزاز علي ممتحنا في كثير من الجامعات على دعوة من مسؤليها كمدرسة العالية بمدينة كولكاتا، وجامعة بتنة بولاية (بيهار) وجامعة (بنجاب)

بعض أساتذته:

وقد تلمذ الشيخ على كثير من الشخصيات البارزة والعلماء الأفذاذ، أمثال العلامة محمود حسن، والشيخ أنور شاه الكشميري، والشيخ عزيز الرحمان ، والمفتي كفايت الله، والمفتي عزيز الرحمان، ومحمد سهول با كلبوري وغيرهم من العلماء، فنلقي الأضواء على بعض منهم:

(١)محمود الحسن (شيخ الهند)

هو الإمام المحدث الكبير وحيد دهره، وفريد عصره رائد النهضة العلمية،

والسياسية في شبه القارة الهندية، ولد في مدينة بريلي سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م وأبوه الشيخ ذوالفقار علي الأديب الأريب صاحب المؤلفات الكثيرة الذي يعد من العلماء البارزين كان أستاذا في كلية إنجليزية في نفس المدينة.

فا الشيخ درس الكتب البدائية لدى عمه الشيخ مهتاب علي، ثم التحق بدارالعلوم ديوبند بصفته أول طالب لها عندما أسست دارالعلوم ديوبند، ودرس كافة العلوم والفنون لدى الرعيل الأول لأساتذة الدار أمثال الشيخ ملا محمود ومؤسس دارالعلوم الشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي، ووالده الشيخ ذوالفقار علي وفي عام ١٢٩٠هـ نيطت به عمامة الفضيلة على يد الشيخ محمد قاسم النانوتوي، وتعين مدرسا في دارالعلوم سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٨٤م، وصار في ١٣٠٨هـ شيخا للحديث فيها، ثم رئيس هيئة الأساتذة، ولم يزل يدرس إلى أربعة وأربعين سنة، ولقب بشيخ الهند.

وله عدد كبيير من التلامذة الذين نبغوا في العلوم الكثيرة، وقد طار صيتهم في أنحاء العالم بخدماتهم المشكورة، ومساعيهم المضنية اللامتنا هية للدفا ع عن الدين الحنيف، والدحر من الفرق الباطلة، أمثال العارف الكبير والمربي العظيم أشرف علي التهانوي، والعلامة المحدث الكبير أنور شاه الكشميري، والشيخ حسين أحمد المدني، والعلامة شبير أحمد العثماني، والمفتي كفايت الله الدهلوي.

وكان شيخ الهند إلى جانب براعته في علم الحديث والتفسير شارك أستاذه محمد قاسم النانوتوي في منا ظرته مع رؤساء جماعة آريه، والقسسين المسيحين، وبادر بشن حركة ضد الحكم الريطاني، وقام بدور مثالي وجهود

وتضحيات لإ ستعـــادة المجد الإسلامي وإسترداد العز المنهوب، كما أنه كافح الإستعمارالإنجليز ي بكل شكل ممكن، وفاقت كافة أقرانه في هذالمجال، يبقي الإنسـان مـدهشا حين ما يرى عالما دينيا مدرسا في مدرسة متضرعا ومبتهلا إلى الـلـه تـعـالـى يـاتي بالعجائب في الحنكة السياسية ضد الحكومة الإنجليزية رغم قـوتهـا وسيـطـرتهـا، وتـضـع خـطة سيـاسية يعجز عنها كبار الساسة والقائدين، وكـانـت خطته تمتد من شبه القارة الهندية إلى ألمانيا، وتركيا، وأرسل طلابه إلى شتى المواضع لحث الناس على الإنجليز:

"ويـقيـم حكومة مؤقة في كابل، ويراسل رجال الحكومة التركية لـمـطاردة الإنجليز، ويقوم بخطة بغايةمن اللباقة السياسية والذكاء الـنـادر، وهو يدرس علم الحديث ويشغل منصب رئا سة التدريس وشيخ الحديث في جامعة دينية" " ١٢

سفره إلى الحجاز:

وأنـه قـام بـالسفر إلى حجاز، وأدى فريضة الحج، ولقي أنور باشا وجمال بـاشـا لـكن غدره الشريف حيث قبض عليه ورفقائه وسلمهم إلى الإنجليز فجاؤ بهـم إلى القاهرة، ثم إلى مالتا وسجن هنا، وهو يقضي حياته في السجن كما كان يـقـضـي فـي مـنـزلته يذوق مرائر الحبس والإعتقال وهو صابر محتسب، وهكذا مضت ثلثة أعوام وأفرج عنه في ١٣٣٨هـ فعادإلى الهند، وتوفي بعد ذالك ببضعة أشهر في ١٣٣٩هـ.

آثاره

ومن أعماله الجليلة ترجمة القرآن الكريم الشهير"بترجمة شيخ الهند"ومجموعته لأماليه في درس جامع الترمذي باللغة العربية وأيضا" الفيض الجاري"شرح صحيح البخاري وأما ليه بعنوان" الورد الشذي".

(٢) حبيب الرحمن العثماني

حبيب الرحمان العثماني بن فضل الرحمان العثماني، ولد بمدينة ديوبند، والتحق بدارالعلوم حيث أكمل دراسته للعلوم العربية والإسلامية، وبعد التخرج في ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م تم تعيينه كنائب مدير في الجامعة، وكان الشيخ ذكيا حاد الذهن وماهرا في الشؤون الإدارية، والأمورالمتعلقة لنسق الجامعة، ونظرا إلى صلاحياته الخارقة وخبراته الشاملة في الشئون الإدارية تم تعيينه مديرا للجامعة، فأدى الشيخ دورا بارزا في تنمية الدار وإدارته، وقد حظيت الجامعة حظا وافرا با لنشاط العلمي والتقدم الفني في عهده.

وتوفي في ٤ رجب عام ١٣٤٨هـ /١٩٢٩م، وما هويجدرذكره أنه رغم مسؤلياته المحدق بها كان مشغوفا بمطالعة الأدب، ونهما بالذوق الأدبي ومتضلعا من اللغة العربية وآدابها.

وكان الشيخ شاعرا مطبوعا عالج كثيرا من الموضوعات كالمدح، والرثاء، والتهنية، والترحيب، وله ديوان مطبوع با للغة العربية ومن قصائده المشهورة " قصيدة أخلاقية" و"لا مية المعجزات" و"دعا ء المضطر" وإليك قصيدته (دعاء المضطر) التي قرضها على منوال "قصيدة البردة" المشهورة على النموذج:

دعـاودعا ريم الظبا وأودعا　　بـدورالحمى في الحي رهنا مضيعا

سمراوسماراولحظاوصبوة　　وربـعــاخـلاء دارس الـرسم أقرعـا

ومضي يقول .

أتـاك إلا هـي خائف متضرع　　بـئيـس كسير القلب ولهان موجعا

ومعترف أني خلطت بصالح　　ذنـوبـا هـوت منها الجبال تصدعا

أتيتك والـغبراء ضاق نطاقها　　عـلـى وشـق الهـم صـدرا وأضلعا.

١٣

(٣) العلامةأنور شاه

ولـد الـعـلامة أنـور شـاه فـي قرية (دودهوان) في مديرية باره موله في سنة ١٢٩٢ مـن الهـجـرة النبوية في ولاية كشمير في أسرة علمية كريمة إنحدرت من (بـغـداد) إلـى ملتان، ومن ملتان إلى لاهور، ومن لاهور إلى كشمير واستوطنتها، فـكـان العلامة الكشميري سليل هذه الأسرة التي هاجرت من بغداد إلى كشمير، وكـانـت لأسرة العلامة مكانة مرموقة في منطقة لوباب، و باره موله، وكان والده الشيـخ مـحـمـد مـعـظم مكرما لدى الناس وكان الآلاف من المسلمين في تلك المنطقة يستفيدون منه في مسائل دينية، وينظرون إليه نظرة الإجلال والإكرام.

قـرأ الـعـلامة الكتب البدائية على والده الشيخ محمد معظم، ثم خرج من مـنـطـقة لـوبـاب، وسـافر إلى مديرية هزارا في ولاية "بنجاب" للدراسات العليا، واستفاد من علماء تلك المنطقة، ثم سافر إلى الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند،

(١٤

وكانت ساحتها إذ ذاك مزدانة مستنيرة بالعلم تتلألأ من جهابذة العلماء الربانين، فأخذ ينهل من علومهم، ويرتوي من معارفهم، فاشتهر بدقة نظره وإصابة رأيه، وعمق تفكيره في الحديث، والفقة، والتفسير، وقريحته المبدئة في الشعر، وتضلعه من اللغة العربية، وسعة الإطلاع على كتب المتقدمين، وشدة إستحضاره

مزايا دروسه

وكان يستشهد اثناء الدرس بأشعار العرب لأنه كان يستحضر من أشعار شعراء العرب ما يتجاوز خمسين ألف بيت، وكان يدهش السامعين بكثرة إستحضاره وتبحرعلمه الشيخ بدر الحسن القاسمي يكتب:

"وكان يحفظ من قصائد شعراء العرب ما يتجاوز خمسين ألف بيت، وكان نفسه شاعرا مجيدا، له قصائد ومراثي كثيرة تفيض رقة وعذوبة، وكان يلقي ضوءا حافلا على حياة كل من يذكره في درسه من الأئمة، ويذكر مكانته العلمية، وكان من دأبه في الدرس أنه كان يضع كتب المرجع والمصادر أمامه اثناء درسه، فاذا أحال شيئا إلى كتاب فياخذه ويريه الطلاب، وقدحضر درسه أحد من العلماء المبرزين وهو الشيخ علي المصري الحنبلي، وكان من حفاظ الصحيحين فناقشه اثناء درسه، فلما فرغ إمام العصر صاح الشيخ على المصري قائلا "لو حلفت أنه أعلم من أبي حنيفة لما حنثت" غير أن الشيخ لما سمع هذه الكلمة قال:إن مدارك إجتهاد الإمام الأعظم أبي حنيفة عالية لا أكاد أصلها". ١٥

دوره في دحض الأبا طيل القاديانية

إن الشيخ قام بدور بارز في دحض الأباطيل القاديانية، وألف كتبا عديدة، وخطب وناظر فقمع القاديانية بحجته الدامغة، وحال دون إستفحال شر هذه الفتنة.

مؤلفاته

وله مؤلفات عديدة فيعلم الحديث، والفقة، والكلام إلى جانب قصائد ومراثي كثيرة

"فيض الباري" شرح صحيح البخاري في أربع مجلدات "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" مع التحقيق والتعليق لعبد الفتاح أ بو غدة "كلمة الشعر" عقيدة الإسلام في حياة عيسى" بسط اليدين لنيل الفرقدين" و "إكفار الملحدين" و "كشف الستر عن صلاة الوتر" و" هندوستان اور دارالحرب.

المفتي كفايت الله

هو العلامة الفقيه الكبير المعروف بالمفتي الأعظم، ولد بمدينة شاه جهان بور حيث تلقى العلوم الإبتدائية، ثم التحق بمدرسة شاهي في مدينة مرادآباد، وأخيرا التحق بدارالعلوم ديوبند، وتخرخ في سنة ١٣١٣هـ و بعد التخرج تولى التدريس بمدرسة "عين العلم" بمديرية شاه جهابور، ويقوم بأمور الإفتاء إلى جانب إصداره مجلة باسم "البرهان" لدحض الأباطيل القاديانية، وغادر شاه جهان بور إلى دلهي بالتماس من الشيخ أمين الدين الدهلوي، وولي رئا سة هيئة المدرسين، وظل قائما على هذا المنصب ويدرس فيها الحديث النبوي الشريف

لمدة تزيد عن خمسين سنة.

و عـام ١٩١٩م نـخب رئيسا لجميعة علماء الهند، ولـم يزل إلى سنوات عـديــدة، وقدقام با لنشاطات السياسية الفعالة حتى تم له إصدار الحكم بسجنه، وقد توفي الشيخ في ١٣ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ /١٩٦٢م.

و كـان الشيـخ يمتاز بين أقرانه باستحضاره العلمي، وجدة الفكر، وعدالة الـراي فـي الأمـور الـمستـعـصية والمسائل اللا ينحلة كما أنه كان شاعرا عظيما، وقام بقرض الأشعار بمنا سبات مختلفة في شتى الموضوعات، كالمدح، و الرثاء ،والتهـنية، ولـه قـصيـــدة نظمها تحت عنوان "تذكار الأيام الماضية" وفيما يلي أبيات هذه القصيدة:

عـرفـت الـله ربي من بعيد فـكـــم بيــن الإلـــه والـعبيـد

عـرفـت الله ربي من قريب أشـد الـقــرب مـن حبـل الـوريد

ومن بين النبين اصطفى من حـوى كـنـز الـعـلوم من الحميد

أنـار صـدورنا علماوحكما وآتـــانـــا كتـــابـا مـن حـميـد

فشـمـر ذيـلهم علماء شرح لإ بـــلاغ وإرشـــاد الشـريـد

أشـاعـوالـعـلم قرنا بعد قرن وشادوالدين كا لقصرالمشيد

(١٦)

آثاره

و كتـابـه "تعليم الاسلام" في أربع مجلدات صار جزء من المقرر الدراسي فـي كثيـر مـن المدارس، كما له مجموعة كبيرة مطبوعة للفتاوي في ٨ مجلدات

باسم "كفاية المفتي".

بعض تلامذة الشيخ إعزاز علي

قد نرى عددا كبيرا من العلماء والأدباء الذين قد تلمذوا على الشيخ إعزاز علي، واغترفوا من بحره الفياض، الماء العذب الصافي، أمثال المقري محمد طيب، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، والمفتي محمد شفيع العثماني، والشيخ محمد منظور النعماني، و الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، والشيخ سجاد ميرتي، وغيرهم لا يمكن حصرهم هنا، فنلقي الأضواء على أحوال بعضهم:

(١) المقري محمد طيب:

هو العالم الكبير إنتهى إليه رئاسة الخطابة الدينية في العهد الأخير، الذي جمع بين الشرف في النسب الديني، والنسب الطيني، فهو حفيد الإمام قاسم النانوتوي، وينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه:

"ولد سماحة الشيخ محمد طيب رحمه الله تعالى في محرم ١٣١٥هـ/مايو ١٨٩٨م وذلك في مدينة ديوبند بمديرية سهارنفور بولاية أترابراديش بالهند، وسلم للكتاب وهو إبن سبع سنين، وانتهى من حفظ القرآن الكريم مع إتقان التجويد والقرائات في ظرف سنتين، وانتسب إلى القسم الفارسي ،والأردي بجامعة ديوبند، ثم انتسب فيها لتلقى الدراسات العليا إلى القسم العربي المخصص للشريعة الإسلامية، فتخرج منه عالما متضلعاعام

١٣٣٧ هـ/١٩١٩م وهو إبن نحو ٢٢ سنة فقط" (١٧

أساتذته

ومن أساتذته الشيخ محمود الحسن، والمفتي عزيز الرحمان، والعلامة أنورشاه الكشميري، والشيخ اعزازعلي.

تعيينه في دارالعلوم

وبعد التخرج عين مدرسا في دارالعلوم، ونال القبول والتقدير لدى الطلبة من دقة نظره وسعة علمه، ونظرا لمهارته في الشؤون الإدارية نخب نائب مدير الجامعة، ووبعد ذلك بسنوات عين مدير الدار، و ما هو جدير با الذكر أن دارالعلوم قد حققت نجاحا كبيرا إبان إدارته، وطار صيتها في البلاد الأجانب.

مؤلفاته

وله مؤلفات عديدة لا يقل عددها عن مأة كتب ما بين صغير و كبير على مختلف الموضوعات الإسلامية ومنها "اسلام كا أخلاقي نظام" أصول دعوت اسلام" معجزه كيا هى "خاتم النبيين ومسئلة تقدير" وعلماء ديوبند ومزاجهم الديني"

(٢)محمد إدريس الكاندهلوي:

هو العالم الجليل المحدث الكبير محمد إدريس الكاند هلوي الذي ولد في كاندهلة بمدينة مظفر نجر سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، وتلقى العلوم الإبتدائية في الزاوية الأشرفية في تهانة بهون، ثم التحق بمظاهر علوم بمدينة سها رنبور،

وأكمل كتب الحديث والفقة، ثم تزايد شغفه بعلم الحديث فاشتاق قلبه إلى الإلتحاق بدا رالعلوم ديوبند، حيث تخصص في علم الحديث . ١٨

إنتخابه مدرسا في دارالعلوم

وتم تعيينه مدرسا في دارالعلوم ديوبند سنة ١٩١٩م ثم ذهب إلى حيدراباد حيث أقام لمدة ١٢ عاما لم ينقطع خلا لها عن الدرس والتدريس، ثم رجع إلى دارالعلوم ويقوم بخدمة التدريس إلى سنين كثيرة ثم هاجر إلى باكستان حين تم تقسيم الهند عام ١٩٤٧م حيث تم تعيينه كشيخ الجامعة في الجامعة العباسية، ثم عين شيخ الحديث بالجامعة الأشرفية بمدينة لاهور، وتوفي في لاهور في ١٧ من شهر رجب ١٣٩٤هـ وكان الشيخ مشغوفا بالأدب، والتفسير، والحديث، ويقرض الأشعار باللغتين العربية والفارسية معا، وكان له إستحضار تام بالأحاديث وكتب الأحاديث، ونرى كثيرا من طلابه الذين ينتمون إلى سمرقند وبخارا، والبلاد العربية، قد تلمذوا عليه في الجامعة الأشرفية.

مؤلفاته

وله مؤلفات عديدة منها التعليق الصبيح" في ٨ مجلدات شرح مبسوط للمشكوة الذي نال إعجابا وقبولا لدى العلماء العرب ٢"تحفة الباري" في حل مشكلات البخاري في ١٢ مجلدات ضخمة٣٣"حجية حديث في رد الفرقة القرآنية " ٤"أحسن الحديث في إبطال التثليث".

الشيخ إعزاز علي وآثاره

مؤلفاته

(١)نفحة العرب.

(٢)التعليق على ديوان الحماسة.

(٣)التعليق على ديوان المتنبي .

(٤)التعليق على مفيد الطالبين.

(٥)الترجمة الهندية للقصيدة الأخلاقية للشيخ حبيب الرحمان العثماني.

(٦)الترجمة للقصيدة اللامية.

(٧)التعليق على شرح النقاية لمحمد على القاري.

(٨)التعليق على المختصر القدوري.

(٩)التعليق على كنز الدقائق.

(١٠)التعليق على نورالإيضاح.

(١١)التعليق على الشمائل للامام الترمذي.

كان الشيخ إعزازعلي شاعرا مطبوعا، نظم الشعر فيخلو شعره من التصنع والتكلف، والكلمات العويصة والتعقيد اللفظي والمعنوي، ويمتاز بالسلاسة والسهولة، حيث لايتعذر على القاري إدراكه وفهمه.

كما أنه كان ناثرا جيدا، وكاتبا قديرا باللغة العربية، ويخلو نثره عن الحشو والزوائد، وقد ألف كتابه "نفحة العرب" وقام بتحشيته في اللغة العربية،

كـمـا قـام بشـرح عـدد مـن الـكتب الأدبية العربية نحو" المقامات الحريرية " و "ديـوان الـمتـنبـي " وهـذا بـالإضـافة إلـى التـعـليق على"ديوان أبي تمام " ومفيد الطالبين"

ومـقـدمـاتـه التـي كتبهـاعلى كثير من الكتب العربية أيضا تعد من الروائع الأدبية بـروعة بيـانـه، وجـودة أسلوبه، وحسن تعبيره، ورشاقة ألفاظه فهذه أعماله الأدبية مـن الشـروحـات، والـمـقـدمـات، والتعليقات على الكتب العربية الأدبية الـمتـداولة بين الناس مؤشرة على مهارته وحذاقته في اللغة العربية وآدابها، ونقدم هـنا تعارفا وجيزا لأعماله الأدبية، ونقوم بإستعراضها وإلقاء الأضواء عليها مفصلا في الباب القادم إنشا ء الله تعالى.

(١)نفحة العرب

هو مجموعة مختارة من روائع الأدب، وألفه على نهج نفحة اليمن ، وألفه لـطـلاب الـمـدارس الثـانوية، وهوجزء من المقرر الدراسي في كثير من المدارس الـعربية في شبه القارة الهندية، فهذ الكتاب قيم نافع جمع نصوصه الشيخ من عدة كتـب مبدئية في التاريخ والأدب، كا لعقد الفريد" لابن عبد ربه و" عيون الأخبار" لابـن قتيبة و"البيـان والتبيـين" لـلـجـاحـظ و"الأغـانـى" لأبي الفرج الأصفهاني و"شذرات الذهب" لعبد الحئي بن عماد وجعلها على بابين (١) في النثر (٢) في النظم.

الموجب لتأليف الكتاب:

ومـن الأهـداف التـي إضـطـربهـا إلـى تـأليف هذالكتـاب هو إنتخـاب

المختارات الأدبية التي تنزل على المستوى الأدبي، وتستهوي قلوب الطلبة العربية إليها، وتزودهم با لذوق الأدبي، وتكون خالية عن الحكايات الفاحشة، والأمثال الفاضحة التي تضعضع أخلاق الطلبة الناشئين، وتفسد عقولهم، كما نشاهد فيأشعار إمرء القيس، وفي أشعار المتنبي في بعض المواضع نحو (ما أنصف القوم ضبه) والكتب الأدبية الأخرى المتداولة في مدارسنا غير خالية عن تذكار الحب ولذة المحبوب وجماله، حيث يكتب نفسه في مقدمة الكتاب:

"أما بعد فلقد رأيت طباع المستفيدين مائلة إلى رسالة تهذيب الأخلاق،كان قلوبهم قلوب أولي الاملاق وألسنة الطاعنين في علم الأدب مفوهة بأن علم الأدب علم يفسد العقول، ويفتك بالألباب مستد لين بقول الملك الضليل ع فمثلك حبلي قد طرفت ومرضع (ويقول المتنبي ع ماأنصف القوم ضبه) ومضى يقول :ما قصدت بهذه الأوراق إلا تطهير الأوراق، ولم أرد لهذه الحكايات والأمثال إلا تحصيل الفضائل، فإن الصبيان ألواحهم أشد قبولا لما نقش عليها"١٩

ولاشك فيأن هذا الكتاب أدى دورا بارزا في تهذيب ذوق الطلبة، ورفع مستواهم الأدبيو الخلقي.

الحواشي على نفحة العرب

وقد قام المؤلف نفسه بتحرير الحواشي التي تتزايد الكتاب، قدإهتم فيه بإلقاء الأضواء على الشخصيات، والأماكن المذكورة في الكتاب إلى جانب تقديم معاني الألفاظ وتشريحها في شكل واضح باللغة العربية، وتارة باللغة

الفارسية، وربما يستشهد بالقرآن والحديث أو الأشعار والأمثال.

شروحاته:

قد قام الشيخ بتشريح المقامات الحريرية في اللغة الأردية وسماه "التفهيمات "وملأه بالنكات اللفظية والدقائق المعنوية، وجمع كثيرا من الألفاظ المترادفة، ووضح الفروق بينها كما قام بشرح ديوان المتنبي وإني أنفذ على بعض إقتباساته في الباب القادم إن شاء الله تعالى.

تعليقاته:

(١)**ديوان المتنبي:** نجده قام بالتعليقات على كثير من الكتب الأدبية المتداولة ومنها مجموعة أشعار أبي الطيب المتنبي الشهير **"بديوان المتنبي"**

إن أباالطيب الشاعر الفلسفي الشهير بالمتنبي قد نال شهرة واسعة في المضمار الشعري، فأشعاره تمتاز بالأفكار الفلسفية، والأمثال والحكم، وينطوي على غموض الكلمات ودقة التراكيب.

قد قام الشيخ إعزاز علي بالتحشية والتعليق على ديون المتنبي وترجمته وشرحه فياللغة الأردية وبلغ ذروتها في كشف الغموض والإبهام عن العبارة.

٢)ديوان الحماسة:

هومجموعة من المختارات الأدبية التي قد جمعها الناقد الكبير شاعر العصر العباسي النابغة أبو تمام بن أوس الطائي، ونرى أن كلا منا يعترف الفوائد الجليلة لهذه المجموعة القيمة النافعة، وقد قام شيخنا إعزاز علي بتعليقاته،

وشرحه شرحا وافيامع حل اللغات الصعبة، وبيان الفرق الدقيق بين الألفاظ المترادفة، وتارة يشير إلى التراكيب النحوية، كما أنه يستشهد بالأمثال وكلام الشعراء.

(٣)مفيد الطالبين:

وهذا من مؤلفات الشيخ محمد أحسن النانوتوي، وقد قام الشيخ بتصنيفه للطلبة المبتدئين لتزويد هم بالأخلاق الحسنة، والخصائل الحميدة، فهذا الكتاب يتضمن القصص والنصح والحكايات، وزينه الشيخ إعزاز على بتعليقاته المفيدة.

(٤)التعليق على المختصر القدوري:

قدحاول الشيخ التعليق على هذا الكتاب على إيعاز من الشيخ كفايت الله المعروف بالمفتي الأعظم، وسماه "التوضيح الضروري" وأدخل فيه الأبحاث المفيدة للغاية إستدلالا من القرآن والأحاديث النبوية، وأقوال السلف الراجحة.

(٥)عروض المفتاح للسكاكي:

قد قام الشيخ بالتعليق على هذا الكتاب أيضا على أمر من الشيخ كفايت الله، ولم يأل جهدا في تعليقه وتشريحه، وقد تم عمل الطباعة في المكتبه الرحيمية.

(٦)التعليق على الشمائل للترمذي:

عندما تم القبض على الشيخ حسين أحمد المدني وأدخل في سجن "مالطة" فأخذ الشيخ إعزازعلي كان يدرس البخاري والترمذي، فقام بالتعليق على شمائل الترمذي"

(٧)التعليق على نورالإيضاح :

كتاب شهير في عالم الفقة، قام الشيخ بتحرير الحواشي عليه على إيماء من الشيخ حبيب الرحمان العثماني، ونال إعجابا وقبولا لدى طلاب المدارس وأساتذتها، وأغناهم عن الحاجة إلى الشروحات الأخرى المملة، وقد طبع أكثر من مرة بكثير من المطابع.

(٨)التعليق على شرح النقاية:

هذا الكتاب يعد من أهم المصنفات لملا على القاري وميزاته العلمية، فالمحدث الكبير العلامة أنور شاه لايرى مصنفاته بالتقدير والإعجاب لكن يمدحه بكونه مصنفا لهذا الكتاب، ويشيد بمجهوداته: "حيث يقول إن القاري لم يقم بأى عمل جليل سوى هذا الكتاب " ٢٠

قد علق عليه الشيخ إعزاز على على إيماء من الشيخ أنورشاه، وسماه محمود الرواية، وأيضا تم تصحيح النسخة المطبوعة في الهند على يده، وبذل الشيخ الجهود المضنية في تسهيله كماأنه ذكرنفسه في مقدمته، و قدطبع من المكتبة الإعزازية.

(٩) التعليق على كنز الدقائق :

هذا الكتاب أيضا في فن الفقة، وقد كان جزء من المقرر الدراسي حتى الأيام القريبة في كثير من المدارس، وقد شرحه ابن بجيم في خمس مجلدات ضخمة، كانت تستغرق الأوقات الطويلة في البحث عن المسائل وتحقيقها.

فقام شيخ الأدب والفقه إعزاز علي بالتعليق عليه تعليقات وجيزة، مع ذكر الأقوال المختلفة فيها، والدلائل المرجحة، والتوضيحات الوافية قد إستجاب له

أهل العلم من الأساتذة، والطلبة، وقد طبعت عدة مرات.

المقدمات:

كما ذكرت أن الشيخ إعزاز علي لم يوفق أن يؤلف كتبا كثيرة، لكنه قام بالتعليق على العديد من الكتب كما قام بكتابة المقدمات التي تتبلور منهاحذاقته ومهارته في اللغة العربية، وتتلألأمنها طلاقة لسانه، ورشاقة بيانه، وإن شاء الله نقدم إليك نماذجها فيما يلي في الباب القادم.

المراجع

١)عبيدالله، دارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية، ص ٩٠.

٢)واضح رشيد الندوي، الدعوة الاسلامية ومنا هجها في الهند، ص ٩١=٩٢.

٣)افتخار غلي، سوانح حيات شيخ الأدب، ص١٢ مارس ١٩٥٥م.

٤)محمد أنظر شاه، تذكرة اعزاز، ص٤٣.

٥) ايضا...ص٤٩

٦)رشيد أحمد بن الشيخ موسى مختصر نفحة العرب ص ٣=٥ ط ٢٠٠٢ الجامعةالاسلامية تعليم الدين دها بيل.

٧(عبدالأحدحيات إعزاز)ص٣٥=٣٧ الناشر مدير المكتبة الحميدية جوك بازار داكه.

٨)أنظرشاه، تذكرة اعزاز ، ص ٥٩.

٩)مجلة الفرقان، لكهنو، وفيات نمبر ص٥٧ ابريل مئي جون١٩٧٧

١٠) عبد الأحد، حيات اعزازن ص ٢١=٢٢.

١١)ايضا...ص ٢٠

١٢)الداعي عدد خاص ص٥٣، مارس ،ابريل ١٩٨٠م،

١٣)زبيرأحمد الفاروقي، مساهمة دارالعلوم ديوبند في الأدب العربي، ص ٩٤=٩٥.

١٤)الداعي شعبان ١٤٢٣/أكتوبر نوفمبر٢٠٠٢ص٣٢.

١٥)الداعي عدد خاص مارس وابريل ١٩٨٠م/جما دالأولى والثانية١٤٠٠هـ

١٦)زبير أحمد الفاروقي، مساهمة ...ص١٣٩.

١٧)محمد طيب، علماء ديوبند ومزاجهم الديني، ص٢٦.

١٨) حبيب الرحمان، علماء ديوبند اور علم حديث ١٣٥=١٣٤.

١٩)اعزاز علي، مقدمة نفحة العرب، ص٥=٦=٥٧.

٢٠) أنظر شاه، تذكرة إعزاز ص٦٩.

الباب الثالث:

الشيخ إعزاز علي من حيث الناثر والشاعر

الفصل الأول:

تحليل للأعمال الأدبية للشيخ إعزاز علي

الفصل الثاني:

نبذة عن بعض معاصرى الشيخ إعزاز علي البارزين

الفصل الأول:

تحليل للأعمال الأدبية للشيخ إعزاز علي

الشيخ إعزاز علي من حيث الناثر:

هو كان ناثرا جيدا، وكاتبا قديرا باللغة العربية، ويخلو نثره عن الحشو والزوائد، فكتابه نفحة العرب، وشروحاته ومقدماته، وتعليقاته على الكتب العربية الأدبية المتداولة بين الناس تدل على مهارته وحذاقته في اللغة العربية وآدابها.

ونرى أن شيخ الأدب لم يهتم اهتماما بالغا بإنتاج الكتب والمؤلفات في الموضوعات الرئيسة للنثر العربي أي القصة، والرواية، والنمثيلية، لأنها لا تليق بشانه، لا لأنه تنقصه القدرة الكاملة على الإنشاء والكتابة بالنثر العلمي والفني لأن آثاره تدل على قدرته الممتازة الفائقة.

وما رأيت أحدا سواه يهتم بذكر الدقائق اللغوية، والنكات المعنوية، والنوادر التركيبية، وأكثر الفروق بين المترادفات على طريق أتم وأكمل.

وما قد ذكرت أن شيخ الأدب لم يوفق أن يؤلف المؤلفات الكثيرة بأنه لم يفرغ من أعمال الدرس والشروحات، والتعليقات على أمهات الكتب الأدبية العربية بما قام بها بعد ممارسة التجارب بسبب تدفق الحاجة، فمن المناسب أن أقدم أمامكم نماذج مقتبسة من كتبه، وتعليقاته، وشروحاته، ومقدماته كي تظهر لكم براعته العربية وخبرته اللغوية، و مهارته الخارقة، ففيما يلي نلقي الأضواء

عليها إن شاء الله تعالى.

مؤلفاته

ومن مؤلفاته "نفحة العرب" هو مجموعة مختارة من روائع الأدب، وألفه على نهج "نفحة اليمن" للشيخ أحمد بن محمد اليمني، وألفه لطلاب المدارس الثانوية، وهو جزء من المقرر الدراسي في كثير من المدارس العربية في شبه القارة الهندية، فهذ الكتاب قيم نافع جمع نصوصه الشيخ من عدة كتب مبدئية فى التاريخ والأدب، وجعلها على بابين (١) في النثر (٢) في النظم.

لكن ما هوجدير با لذكر أن هذا الكتاب قد تناوله بعض الناس بإنتقاد بعد وفاة المؤلف، لأنه قد تسرب إليه بعض الأخطاء والتسا محات في الحواشي، وهناك مقالة نشرت في المجلة "المعارف" قام فيها الكاتب بالنقد على كتابه حيث يكتب :

" أنه لم يعتنن في إنتخابه بالجوانب التاريخية أو القيمية يغلب فيها العناصر الأخلاقية، وجمع النماذج الأدبية من العهد النبوي إلى العصرالحاضر، ولم يحل إلى الكتب المقتبسة منها بأن يتمكن القارى من المراجعة والإطلاع على أية مغلوطة لفظية أو أدبية، ونهجه هو نفس نهج البيان و "التبيين" للجاحظ "عيون الأخبار" لابن قتيبة، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه الذي قد مضى قبل آلاف سنة، في مصر والعراق، وحواشيه مثيرة للحيرة التي لا تقل عن الكتاب في كثرتها، وربما يقدم للطلاب معلومات غير مجدية

كـمـا أنه إعتنى ببيان معاني الألفاظ التي لا يجهلها رجل عادي له عـلاقة باللغة العربية، نحو ،افعال ،.. والمسامر ، السجادة، وما إلى ذلك". ١

نـعـم قـد تسـرب إليـه بـعض الأخطاء والتسا محات في الحواشي، لكن لابسبـب قـلة عـلـمه، وقلة إطلاعه بل لأنه كان الشيخ يكلف بعضا من الأوقات الطلبة بنسخته لكثرة أشتغاله وقلة وقته، كما كتب الشيخان محمد أرشد المدني وريا ست علي البجنوري من كبار أساتذة دارالعلوم في تقريضهما:

"وبما أن شيخ الأدب رحمه الله لم يكن بإمكانه أن يتفرغ كليا في وقـت مـن الأوقـات لـمجرد إنجاز الأعمال الكتا بية، فكان ديدنه فيهـا وفـي تـأليف (نفحة العرب) خصيصا، وتحريرالحواشي عليه، أنـه كـان يعلم على القطع المختارة لديه في شتى الكتب، ويكلف الطلاب بنسختها، فتسرب بعض التسامحات إلى ما قاموا بنسخة" ٢)

أو لـم تيسـر لـه فرصة إعادة النظر فيه، ولم يتوفر له في شأن الحصول على الـمـعلومات ما هو ميسر لنا اليوم، أو أن المصادر التي اعتمدها المؤلف، واستقى منها المعلومات لم تكن مطبوعا بشكل محقق مصحح مثل اليوم.

وأما ما كتب الناقد أن هذه الحواشي تقدم معلومات غير مجدية،ومضكة ، فـلا أتـفـق برأيه لأن الشيخ كتب في مقدمة كتابه أنه ألف هذا الكتاب للطلاب الـمبتدئين، والمبتدؤن ليست عندهم ذخائر اللغة، وأيضا أن الشيخ كان في حنين أن يقدم للطلاب فرائد اللغة ولأجل ذلك إعتني بذكر معاني الكلمات اللغوية.

فكما ذكرت أن بعض الناس تناولوا هذا الكتاب نقدا مع أن أغلبية العلماء تعترف بأهمية هذا الكتاب، ولأجل ذالك نرى الشيخ رشيد أحمد بن الشيخ موسى قام بتعليق وتصحيح وتلخيص هذا الكتاب، ووضع حواشي وجيزة تكشف الغوامض من الكلمات الصعبة، والعبارات الغامضة، وأخرج ما كان فيها من الحشو والزوائد فنفحة العرب الموجود المطبوع من مكتبة الإرشاد دهابيل بولاية غجرات سنة ٢٠٠٠م منقحة عن الأخطاء والتسامحات التي وقعت فيها.

وفيما يلي نماذج مقتبسة من كتاب الشيخ إعزاز علي" نفحة العرب" وتعليقاته عليه:

"الكناية: لقي شيطان الطاق رجلا من الخوارج وبيده سيف، فقال له الخارجي والله لأقتلنك أو تبرأ من علي، فقال أنا من علي ومن عثمان برىء.

يكتب الشيخ في ضمن هذه الحكاية:

قوله الكناية أراد بها التورية، ويقال لها الإيهام والتوجيه والتخيير، والتورية أولى في التسمية بقربها من مطابقة المسمى، لأنها مصدر، وريت الخبر تورية، إذا استرته، وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله ورائه بحيث لا يظهر، وهي في الإصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا، وله معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخربعيد فدلا لة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد، و يورى عنه

بـالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب، وليس كـذلك ولأجل هذا سمى هذا النوع إيهاما، ومن ذلك قوله تعالى الـرحمان على العرش استوى: لأن الإستواء على معنين (أحدهما) الإستـقـرار فـيا لـمكان، وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غيـر مـقـصـود، لأن الـحـق تعالى وتقدس منزه عن ذلك (والثاني) الإستيـلاء والـملك، وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه با لـقـريـب الـمذكور، ومنه قول النبي ﷺ حين سئل في مجيئه عند خـروجـه إلـى بدر فقيل لهم: من أنت فلم يرد أن يعلم السائل فقال مـن مـاء، أراد إنـا مخلوقون من ماء، فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء، ومـنـه قول أبي بكر الصديقؓ في الهجرة، وقد سئل عن النبى ﷺ : مـن هـذا فـقال هاد يهديني، أراد أبو بكر هاد يهديني إلى الإسلام، فورى عنه بهادي الطريق، وهو الدليل في السفر، وههنا كذلك فإن قـول شيـطـان الـطـاق أنـا من علي الخ له معنيان حقيقيان (الأول) مبـنـي عـلى أن قوله "من علي ومن عثمان" متعلق بقوله برىء وهو الـذي سبـق ذهـن الـخـارجي إليه، فالمعنى أنا برىء من علي ومن عثمان كليهما.

ولهذا نجا شيطان الطاق من سيف الخارجي و (الثاني) مبني على أن كـلام شيـطـان جـملتان، بخلاف الأول فإنه جملة واحدة كما عرفت) الأول أنا من علي بمعنى أنامن شدة حبي عليا صرت كأني جزء من علي (والثانية) ومن عثمان برىء، أي أنا برىء من عثمان،

وحاصل المعنى على هذا التقدير أنا أحب عليا، وبرىء من عثمان وهذا هو الذي أراده شيطان الطاق.

"شيطان" وهو محمد بن النعمان يلقب شيطان الطاق كان جهميا في عصر أبي حنيفة.

وقوله (أو) بمعنى إلى أو إلا، فالمضارع منصوب بتقدير أن كقوله لألزمنك أو تعطيني حقي". ٣

وأيضا هناك الإقتباس الثاني من الباب الثاني من نفس الكتاب وهي أبيات أنشدها المؤلف في نادي الأدب المتعلق بدارالعلوم الديوبندية حين أمرو بإجازة قول الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العيشة من عرار

قد صاغ المؤلف قصيدته في مدح الكتاب في نفس البحر والقافية، وذكرها في الباب الثاني أي(النظم) بكتابه:

تمتع من شميم عرارنجد فما بعد العيشة من عرار

ألام على التجنب والتخلي فقلت أجيبهم هذا شعاري

لقد طوقت في الآفاق دهرا وجبت القفر والبيد ا لصحارى

يكتب في توضيحه:

١)قوله تمتع أمر من التمتع، والشميم مصدر شم يشم شما، وما نافية، وكلمة من لإستغراق الجنس، والموضع موضع الرفع على أن يكون إسم ما،

والعرار بقلة ناعمة طيبة الريح، الواحد عرارة، قالها الشاعر وقت

إرتحاله من وطنه إلى الديار الغريبة، أي قف ساعة، وتمتع من شميم عرار نجد فإنه لايكون بعد عيشة اليوم من عرار.

٢)ألام متكلم مجهول من لام يلوم ملامة، وعلى للتعليل، كاللام كقوله علام تقول الرمح يثقل عاتقي، ولامه على كذا، وفي كذا كدره بالكلام لإتيانه ماليس جائزا، وما ليس ملائما لحال الائم، أو حال الملوم، والتجنب البعد، وأراد به البعد عن الناس، والتخلى كزاشتن وخالى شدن يعني خلوت كزيني، وشعاري أى طريقتي وعادتي، أي يلومني إني أتجنبهم وأعتزل عنهم، فقلت حال كوني مجيبالهم هذا المذكور من التجنب والإعتزال من عادتي وطريقتي.

٣)قوله لقد جبت مثل قلت متكلم من ماضى الجوب، وهو القطع، القفر الخلاء من الأرض لا ماء به ولانبات، والجمع قفار وقفور، والبيد با لكسر جمع بيداء، الفلات والجمع أيضا بيداوات، والصحارى جمع صحراء، الأرضُ المستوية في لين وغلظ، بيان لوجه إختياره التجنب والإعتزال عن الناس، وحاصل الجواب إني سافرت وجربت الناس ولم أجد ناصحا غير كتاب فلزمته وإعتزلت عنهم" ٤

نراه قد خاض في بحر من الدقائق اللفظية والتراكيب الغامضة، وقد قام بتوضيح اللغة ومعانيها والكلمات العويصة بحيث سهل على كل منا فهمها، وقد بين لنا الفرق بين المترادفات

كالقفر، والبيداء، والصحراء.

مكانة نفحة العرب :

قد أشاد العلماء بمساعي الشيخ بشان هذا الكتاب يقول العالم الكبير أشرف علي التهانوي :

" لو كنت متمكنا من القيام بالتدريس لدرست أصحابي هذا الكتاب، لأن بفضل الله تعالى هذا الكتاب مميز من المنتخبات الأخرى" ٥

ويقول المحدث الكبيرحسين أحمد المدني: ماوقعت عيناي على أي كتاب ألف لطلاب الصف الإبتدائي والمدارس الثانوية إعتنى مؤلفه بجمع الجوانب الأخلاقية، والإصلاحية، والتاريخية، مع المحاسن الأدبية، وهذا يؤشر على حسن الإنتخاب وسلامة ذوق المصنف". ٦

شروحاته:

قد قام الشيخ بتشريح المقامات الحريرية في اللغة الأردية السهلة وسماه "التفهيمات"

وهنا إليك بعض الإقتباسات من التفهيمات يكتب في شرح قوله

"وأما الحمام ميعادك فما إعدادك، وبالمشيب إنذارك فما أعذارك، وفي اللحد مقيلك فما قيلك.

يكتب في تشريح المشيب:

بالمشيب "الباء بمعنى في وهو داخل تحت أما، أى بالمشيب إنذارك، شاب شيبا وهو ظهور الشيخوخة من (ض) والمشيب أيضا مصدر، و في التنزيل إشتعل الرأس شيبا، والشيب تقع صفة للرجل فلا نطلق على إمرأة إشتعل رأسهاشيبا، بل نطلق عليها الشمطاء، والشاخ يستخدم ما بين خمسين وثما نين، والشيخ يطلق على من نحف جسمه واضمحلت قواه بكثرة العمر، والشمط وهو أغلبية البياض مع شيء من السواد، وقيل بياض الشعر الحادث في موضع واحد، ونقل عن الليث أن الشمط للرجل وهو كون لحيته مبيضة، والكبر هو كثرة العمر مع الضعف، وإذا بلغ نهايته فيطلق الهرم.

هلال الشيب فيفوديك نادى بأعلى الصوت حى على الذهاب

أشابه أى كونه شيخا، أشاب الصغير وأفنى الكبير المشيب، أي مشيبك ومن (ن) الإمزاج، وفي ذلك الوقت يكون واويا، ومنه الشائبة أى الحودث جمعه شوائب.٧

وفي توضيح "اللحد"يكتب:

اللحدجمعه لحود ألحاد، اللحدكونه مائلا من (ف) واللحد القبر الذي يكون الشق فيه في جانب المغرب، الشق هوالقبر الصندوقي، وفي الحديث اللحد لنا والشق لغيرنا، لحد الميت أى دفنه، ولحد اللحد للميت يقال حين حفر القبر للميت، ومنه الاحد، الضريح القبر أو الشق المستقيم في وسط القبر،

الـجـدث الـقبـر الـعتيـق جـمـعـه أجـداث، قال تعالى فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون.

وفي موضع آخر يكتب في شرح قوله:أو يغني عنك ندمك إذ زلت قـدمك أويـعـطف مـعشرك يوم يضمك محشرك، يكتب في شرح العطف

الـعـطف: مـن (ض) أي أشـفـق وأرحـم، والـمـصـدر عـطـفـا وعـطـوفـاعـطف إليـه مـال إليه، وهذا بفتح العين وأما بكسر العين فبـمعنى الجانب وجنب كل شيء وجانبي للإ نسان من الرأس إلى الـورك، والـجـمـع أعـطـاف عطاف عطوف، والعطف يطلق على الـمـحبة تـنـطـوي عـلـى الشـفـقة، والشـفـقة هي صرف الجهود لـمساعدة الناس في شدائدهم، وقيل الشفقة يشمله الخطر ولذا لا تقع صفة لله تعالى". ٨

تعليقاته:

نجده قام بالتعيقات على كثير من الكتب الأدبية المتداولة ومنهاٍ

ديوان المتنبي .

إن أبـاالـطيـب الشـاعـر الـفلسفي الشهير بالمتنبي قد نال شهرة واسعة في الـمـضـمـار الشـعـري، فـأشـعـاره تـمتـاز بجمال التصوير ودقة التعبير إلى جانب التـحـمس والشجاعة، وهي حافلة بالأفكار الفلسفية والأمثال والحكم، وتنطوي

علـى غـمـوض الـكـلـمـات ودقة التـراكيـب حيث قام الشيخ إعزاز علي بوضع الـحـواشـى والتـعـليـق على ديون المتنبي وترجمته وشرحه في اللغة الأردية وبلغ ذروتهـا فـي كشف الـغـمـوض والإبهـام عن العبـارة، لكن ما هويجدرأن يكتب بـأوراق ذهبية هـي تـعـليـقاته وحواشيه في اللغة العربية التي تحل عقدة الكلمات الصعبة والعبارات الغامضة مع التشريح في اللغة العربية في عبارة وجيزة فلاحاجة بـعـده إلـى المراجعة إلى الشرح الأردي، ولأجل ذالك نتخطاه إلى تعليقاته باللغة العربية، وأقدم إليك منها شعرين على النموذج ، يقول في مدح سيف الدولة:

فحب الجبا ن النفس أورده البقا وحب الشجا ع الحرب أورده الحربا

ويـختلف الرزقان والفعل واحد إلـى أن يـرى إحسـان هذا لذا ذنبـا

الـفـوائـد: قـولـه يـختلف هذا البيت من أحسن المعاني التي تميل النفس إليها ولولم يكن له غير هذين البيتين هذا والذى قبله لكفياه، يـريـد أن الـرجـليـن ليفعلان فعلا واحدا فيرزق أحدهما فيه ويحرم الآخـر حتى كان إحسان المرزوق ذنب للمحروم، مثاله أن يحضر الـحـرب رجـلان يـغـنـم أحـدهـما ويحرم الآخر، فحضورالحرب إحسـان مـن الـغـانـم ذنـب لـلمحروم، وكلاهما فعل فعلا واحدا، وكـذالك مسـافران سافرا فربح أحدهما، وخسر الثاني فيعد السفر مـن الـربـح إحسـانـا يحمد عليه ومن الخاسرذنبا يلام عليه، وأشار بـقـوله هذا، وذا، إلى المرزوق والمحروم ولم يذكرهما وإنما ذكر إختلاف الرزقين" ٩

(٢) عجب الوشاة من اللحاة وقولهم د ع ما نراك ضعفت عن إخفائه

اللغات : "الوشاة جمع واش وهو الذي يزخرف الكذب وينمقه، اللحـــاة جمع لاح وهو الذي يزجر عن الأشياء ويغلظ القول، الضعف بالضم في الجسم، كا لضعف بالفتح في العقل، يقال: إن كلمتي د ع، وذر، أمران في معنى الترك، إلا أن د ع للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به، وذر أمر بتركه بعد علمه، وروى أن بعض الأئمة سأل الإمام فخرالدين الرازي عن قوله تعالي: أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين" لم لم يقل وتدعون أحسن الخالقين مع أن هذا أقرب إلى الفصاحة، فقال رحمه الله : لأنهم إتخذوا الأصنام آلهة، وتركوا الله بعد ما علموا أن الله ربهم ورب آبائهم الأولين إستنكارا وإستكبارا فلذلك قيل لهم وتذرون، ولم يقل تدعون ".

الفوائد: قوله عجب الخ أي أن اللحاة يقولون له د ع هذا الحب الذي لاتطيق كتمانه، فيعجب الوشاة من قولهم هذا، لأنه إذا غلب عليه الحب حتى يعجز عن كتمانه، فهو عن تركه أعجز، وخص الوشاة بالإعجاب مع أن المامور به يتعجب منه عموم الناس إشارة إلى أنه لا يرى حوله إلا لاحيا أو واشيا، فهو أبدا بين الفريقين" الرزقين" ١٠

(٢)ديوان الحماسة:

كما هو معلوم أن ديوان الحماسة مجموعة من المختارات الأدبية التي قد جمعها الناقد الكبير شاعر العصر العباسي النابغة أبو تمام بن أوس الطائي، ونرى

أن كـلا مـنـا يـعتـرف الفوائد الجليلة لهذا الكتاب القيم، قد قام شيخنا إعزاز علي بتـعـليـقـاتـه وشرحه شرحاوافيا مع حل اللغات الصعبة، وتارة يشير إلى التراكيب الـنـحـوية، كـمـا أنـه يستشهـد بالأمثال وكلام الشعراء، كما تظهر لك عند قرائة التعليق التالي المقتبس من ديوان الحماسة.

قال جعفر بن علبة الحارثي.

لا يكشف الغماء إلاابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها ·

تقاسمهم أسيافنا شرقسمة ففينا غواشيها وفيهم صدورها

الـفـوائد: (١) الغماء لغة للآفة وسمي به الحرب، وكنى بابن حرة عـن الـصابر على المكاره فهم كانوا يزعمون أن الأمة لاتحتمل ما تحمله الحرة من المكا ره والآلام.

الفرق بين الروية والزيارة:

الـروية أعـم مـن الـزيـارة فـــانها تكون من بعيد، ولا تكون الـزيـــــارة إلا من قريب فإنه ماخوذ من الزور با لفتح، وهو وسط الـصـدر وملتقى عظامهن فلا يتحقق الزيارة إلا كمحاذاة زور الزائر المزور

التشـريـح. لايـكشف الشـدائـد ولا يـزيلها إلا أبناء الأحرار يرون شدائد الموت عن بعيد، ثم يزورهاعن قريب.

الـلـغات: غمرات واحد غمرة، الشدائد الغماء الأمر الشديد الذي لا يدري من أين يؤتي.

(٢)تقاسمهم أسيافنا:

التشريح : يقول قاسمناهم سيوفنا فلنا مقابضا وفيهم صدورها.

الفائدة: المقاسمة تعدى إلى المفعولين، والقسمة أي المقاسمة وغواشي غاشية السيف مقبضها ١١

ثم يقول

ألمت فحيت ثم قامت فودعت فلما تولت كادت النفس تزهق

فلاتحسبي أن تخشعت بعدكم لشيء ولا إني من الموت أفرق

التشريح ١) يقول حاكيا لحال الخيال جائتنا فسلمت علينا، ثم لم تلبث إلا قليلا حتى قامت وأعرضت، فلما تولت كادت النفس تخرخ في إثرها قد رأينا أنه شرح الشعر على طريق جيد مفيد للقاري بحيث لايتعذر على القاري فهمه، ويطمئن قلبه.

اللغات: ألمت أي نزلت، تزهق أي تخرج.

التشريح ٢) فلا تحسبي: يقول فلا تحسبي أني تخشعت بشيء بعد فراقكم ولا تحسبي إني أخاف الموت.

الفوائد: الجملة قامت مقام المفعولين للا تحسبي.

قوله (فلا) خاطب أولا يخاطب المفرد المؤنث، ثم بخطاب جمع المذكر جريا على عادتهم في الكلام، قال المخزومي: ع فإن شئت حرمت النساء سواكم. غواشي غاشية السيف مقبضها". ١٢

(٣)مفيد الطالبين:

وهذا من مؤلفات الشيخ محمد أحسن النانوتوي وقد قام الشيخ بتصنيفه للطلبة المبتدئين لتزويد هم بالأخلاق الحسنة، والخصائل الحميدة، فهذا الكتاب

يتضمن القصص والنصح والحكايات، وزينه الشيخ إعزاز على بتعليقاته المفيدة لكن ما هو يتبادر إلى ذهني عند مطالعة هذا الها مش، هو أن الشيخ كتب هذه الهوامش للأساتذة لا للمبتدئين، لأنها تحمل النكات اللغوية والدقائق المعنوية كما ترى في هذه الحكاية:

"انسان مرة حمل حزمة حطب فثقلت عليه فلما عجز وضجر من حملها رمى بها عن كتفه، ودعا على روحه بالموت، فحضر له خص قائلا هو لما ذادعوتني، فقال له الإنسان دعوتك لرفع هذه حزمة الحطب على كتفي" حيث يكتب الشيخ إعزازعلي في ضمن قوله لماذا : إعلم أنه يجب حذف ألف ما الإستفهامية إذاجرت وإبقاء الضمة دليلا عليها، نحو فيم، وإلام، إذا ركبت ما الإستفهامية مع ذا، لم تحذف ألفها نحو لماذا، لأنها قد صارت حشوا وتاتي ما على ستة أوجه (أحدها) أن تكون ما إستفهاما، وذا إشارة نحو ما ذا التواني (الثاني) أن تكون ما إستفهاما، وذا موصولا، نحو ما ذا تفعل (الثالث) أن يكون ماذا كله إستفهاما على التركيب، كقولك لما ذا جئت (الرابع) أن يكون ماذا كله إسم جنس بمعنى شيء، أو موصولا بمعنى الذى نحو قل ما صنعت (الخامس) أن تكون ما زائدة، و ذا للإشارة نحو إسرع ماذا يا زيد أي إسرع هذا (السادس) أن تكون ما إستفهاما وذا زائدة، نحو ماذا صنعت، والتحقيق أن للأسماء لا تزاد" ١٣

وهكذا في موضع آخر نرى يكتب في حكاية (حداد) موضحا (العمل)

ومبينا الفرق بين العمل، والصنع، والفعل:

"إعلم أن الفعل لفظ عام لما كان بإجادة، وبدونهما ولما كان من الإنسان والحيوان والجماد وأما (العمل) فإنه لايقال إلا لما كان من الحيوان دون ما كان من الجماد، ولما كان بقصد وعلم دون لما لم يكن عن قصد وعلم، وأما (الصنع) فإنه يكون من الإنسان دون سائر الحيوانات، ولا يقال إلا لما كان بإجادة ، ولهذا يقال للحاذق المجيد، والحاذقة المجيدة صنع (كبطل) والصنع يكون بلا فكر لشرف فاعله والفعل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله و(العمل) لا يكون إلا بفكر لتوسط فاعله (فالصنع)أخص المعاني الثلاثة (والفعل) أعمها و(العمل) أوسطها، فكل صنع عمل، وليس كل عمل صنعا، وكل عمل فعل وليس كل فعل عملا" ١٤

وهكذا في موضع آخر في حكاية الذئب والثعلب يكتب عند تحقيق كلمة(قعدت):

"إعلم أن (الجلوس) هو الإنتقال من سفل إلى علو و(القعود) هوالإنتقال من علو إلى سفل، فعلى الأول يقال لمن هونائم إجلس، وعلى الثاني لمن هو قائم أقعد.

(القعود) لما فيه لبث بخلاف (الجلوس) ولهذا يقال جليس الملك ولايقال قعيده، ويقال قواعد البيت ولا يقال جوالسه" ١٥

مقدماته

قام الشيخ إعزاز علي بكتابة المقدمات على العديد من الكتب التي تتبلور

فيها حذاقته ومهارته في اللغة العربية، وتتلألأ منها طلاقة لسانه ورشاقة بيانه وفيما يلي مقدمته على كتابه نفحة العرب التي ذكر فيها دواعي تأليف هذا الكتاب التي يمكن أن تعد من إحدى الروائع الأدبية، كما يتضح من الاقتباس الآتي:

أما بعد فلما كانت الكتب الأدبية المتداولة في مدارسنا الإسلامية الهندية والباكستانية غير خالية عن تذكار الحب ولذته، والمحبوب وجماله مشحونة ببيان لذائذ ما يميل إليه المتيم الدنف، من مناعاة غزال فاتر الطرف أكحل، ووصاله وشدائد مايحذر منه من الهجر والصدود، وبلباله مشتملة على تشبيهات أنيقة، وإستعارات رائقة، أكثرها في النساء ومحاسنهن، وما كانت نيات مصنفيها وجامعيها (على ما نحسن الظن بهم) إلا إطلاع اللبيب الذكي المتوقد على صنوف الكلام وأنواع المحاورات، لا إيقاع أفلاذ أكباد المسلمين في الفواحش والكبائر، من الآثام جعل الطاعنون في علم الأدب والقاصرون عن الوصول إلى ذروته العليا، والغرقى في ورطات الجهل، والغواية، والضالون في مفاوز التوهمات والتخيلات (التي سموها المنطق أو الفلسفة) والتائهون في بيد الأوهام والأباطيل، يسيؤن ظنون الناس به، واتخذو هذه الحكايات والقصص ذريعة للطعن فيه، وقالوا إن علم الأدب يهيج القوى الشهوية ويخمد ماجبل عليه المرء من الفطرة الإلهية، ويسوق صاحبه إلى أن يهيم في الفسوق والفجور.

ومضى يقول:

وإني بحمد الله مازلت راغباعن أمثال هذه الحكايات، والمنقولات، منذ قرأتها على الجهابذة من العلماء، وزادت هذه الرغبة حين قرأ على الصغار، والكبار من الطلبة واشتد ميلي عنها حين قرأها على أنجال شيوخ دارالعلوم الديوبندية وكان إبني الكبير الحافظ إعزاز أحمد أيضا فيمن قرأها معهم لما أنعم الله على بزيارة الحرمين الشريفين تشرفت في المدرسة الشرعية المدنية بكتاب مسمي "بالسمير المهذب" وهو وإن كان كإسمه مهذبا خاليا عما يتنفر به الطباع السليمة لكن كان فيه بعض ما لا ينبغي للمبتدئين من الطلبة من مدح العيسوين وأخلاقهم، وهذا يخالف ما عليه أسلافنا الكرام، فأردت أن أدفع العجاج عن طريق هذا العلم ليراه العميان ببصائرهم، ولوفات عنهم أبصارهم ويخرجوا من الظلمات إلى النور، بنور عقولهم، وإن حرموا من نور أعينهم، فنهضت مشمرا أذيالي، وقلبت أوراق كتب المتقدمين بعدما سهرت الليالي وانتخبت منها حكايات أنيقة رائقة تتلذ بها الأسماع، وتفرح بها الأذهان تهتدي القاري إلى حسن الأخلاق، وتقلده قلائد المكرمات".١٦

والاقتباس التالي من نفس مقدمة الكتاب خير دليل على أسلوبه القوي في النثر الفني:

"أما بعد فقد رأيت طباع المستفيدين مائلة إلى رسالة تهذب الأخلاق كأن قلوبهم قلوب أولي الإملاق وألسنة الطاعنين في

علـم الأدب متـفـوهة بـأن علم الأدب علم يفسد العقول، ويفتك بـالألبـاب مستـد لين بقول الملك الضليل فمثلك حبلى قد طرقت ومـرضـع، ويقول المتنبي ما أنصف القوم ضبه، وغير ذالك وهؤلاء الشـرذمة الـقـليـلة ضـفـاد ع حيـاض لـم تـرد إلا الماء الواصل إلى الـكـعـب، فـلـوم الـخفاش لا يضر الشمس، وعواء الكلب لايظلم البدر، ولما كان سهر الليالي مما جبل عليه عطشى العلوم وحيارى ميـادين الكمال، سهرت ليالى لا نوم فيها لأحذو حذوهم، وأحشر مـعهـم يـوم لا ظـل فيـه إلا ظـل قـادر جبـار، واقتبست من كتب الـمتـقدمين نوادر، وأردت أن أعرضها على إخواني من طلبة العلم، ومـا قـصـدت بهـذه الأوراق إلا تـطهيـرالأخـلاق، ولم أرد بهذه الـحـكـايـات والأمثـال إلا تـحـصيل الفضائل، فإن الصبيان ألواح قـلـوبهـم أشد قبولا لما نقش عليها، وإني مع اعترافي بقصور العلم وضيـق البـاع اجتهـدت كـل الاجتهـاد في تحلية البيـان وتجلية التبيـان، فهـا هـي فـرائـد حقرت اليواقيت واللآلي، ولن تجد مثلها عـلـى مر الأيام والليالي، وسميت نفحة العرب وجعلتها على بابين (الأول)المنثور (الثاني) المنظوم".١٧

مقدمته العلمية على ديوا ن الحماسة

وفيـما يلي مقدمته العلميةعلى ديوا ن الحماسة لأبى تمام التي قسم العلوم فيهـا عـلـى قسـميـن (١) الـعلوم الطبيعية (٢) العلوم النقلية حيث تمتاز المقدمة بجودة الأسلوب وروعة البيان:

"إعـلـم أن الـعـلـوم التـي يـخوض في بحارها الأفكار، ويجول في ميدانها أذهان النظار على صنفين:

(١) صـنف طبيـعـي للإنسان، سمي باالطبيعي لأن الإنسان يهتـدي إليـه بـفـكـره وطبـعه. (٢) وصنف نقلي: فإنه يأخذه عمن وضـعـه، والأول هـى الـعـلوم الحكمية الفلسفية وهى التي يمن أن يـقف عـليهـا الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى مـوضـوعـاتهـا ومسائلها... أنحاء براهينها ووجوه تعليمها، حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

والثاني هى العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الـواضـع الشـرعـي، أو العرفي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الـفـروع مـن مسـائـلـهـا بـالأصـول. وأصـنـاف هذه العلوم النقلية كثيــرة، كعلم النفس، والقراء ة، وعلم الحديث، والفقة، وأصولهما وعـلـم الـكلام، واللغة، والنحو، والبيان، والأدب، وغير ذالك ولما كـان ذالك كـله الأدب غير متعلق بما نحن بصدده، طوينا الكشح عـن جميعها الأدب وفيه أبحاث، الأول في موضوعه فذهب فريق مـنهـم إلـى أنـه ليـس له موضوع، وخالفه جماعة منهم ثم اختلف الـفـريق الثاني في تعيينه أي في أن موضوعه أي شيء هو؟ فذهب كـل منهم إلى ما شاء لولا مخافة التطويل لبيناه با التفصيل، والحق عـنـدي هوالأول كما صرح به من خضع له المحققون العلامة ابن

خلدون وقال هذالعلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها" ومضى يكتب: "فلا يخفى ان العلوم وإن ضاعت خزائنها وسلبت دفائنها، لكن بقى شيء من آثارها ويسمع الآن نبذة من أخبارها، والعلوم الأدبية العربية قد رثاها الراثون، وبكاها الباكون، ولم يبق فى أيدي مسلمي الهند إلا إسمها كما يبق من بلاد عاد وثمود إلا رسمها، وإن شئت ترى أكثرهم ضيعوا عن أعمارهم في تحصيل الكتب الدرسية من المعقولات والمنقولات، وتمكنوا على مسند التدريس، وأنى لهم النفع من ذلك فانهم يصرفون أفضل أوقاتهم في تحصيل علمى الصرف والنحومثلا، ويتحملون في تحصيلهما من المشاق ما لا يتحمل، ويحفظون أكثر الكتب من الصرف، والنحو، كأنهم حفظة القرآن ولم يحصل لهم شيء من غا يتهما، فإن غايتها أن يسلك الطالب بهما إشتقاق الكلمات، وتراكيب الجملات، ويصون نفسه في التكلم عن الخطاء ويقدر على التعبير عما في جنانه، ولما لم يحصل لهم غاية العلم لم يحصل العلم حقيقة فإن حصول كل شيء بغايته". ١٨

مقدمته على شرحه لديوان المتنبي

قام الشيخ بكتابة مقدمة علمية، تفصيلية على شرحه لديوان المتنبي حيث ذكر فيها المتنبي ومكانته في الشعر وما وردت عليه من إعتراضات، وإنتقادات من كبار المستشرقين وهذه المقدمة العلمية خير مثال لطلاقة لسانه ورشاقة قلمه وجودة أسلوبه ونصاعة لفظه، ينتقي الألفاظ المناسبة اللائقة كأنه جوهري ماهر

ينتقد الجياد من المغشوش:

"أما بعد فان علم الأدب من بين العلوم العربية من أجلها قدرا وأشرفها ذكرا وأعلاها منارا، وأزيدها وقارا، ومنزلة سائر العلوم غير العلوم الدينية منزلة الفقير بالنسبة إلى الغني، ورتبة المتشاكس نظرا إلى السوي، وما مثله إلا كالثوب المرقع والوجه القبيح المبرقع أو الباز بغيرجناح، والدائم على المساعى بغير نجاح، أو الساعي إلى الحرب من غير سلاح، بل هو رمح من غير سنان، أو سيف لم تقبض عليه البنان، ولعمرى علم الأدب دوحة ذات أفنان في كل غصن منها أغصان، وهوا لشمول التي تسكر كل ذي لب سليم من غير تأنيم بيد أن أبناء الزمان (الحق يقال) ما قدروه حق قدره، وماقرروه حق توقيره، ولم يدروا أنه الأفاضل وغيره المفضول"

ومنها : "ولعمر الله لولم يكن للأدب سوى فضيلةنزول الوحى الالهى فيه لكفاه فخرا فضلا عن إعتبارات أخرى كثيرة، ومن تلك المزايا التي اختص بها هذا الفن الشريف أنه مما يتوسل به إلى فهم ما نطق به القرآن، حتى صارله كالملح للطعام والنحو للكلام، فرياه في أكناف العالم متضوعة وشواهدجماله في جميع الألسنة متنوعة، والجاحد لمحاسنه والممارى فيقيمة محاسنه كا لجاحد لوجود الشمس، والممارى في غلبة الموت على النفس". ١٩

مقدمته على شرح النقاية لعلي القاري

ومقدمته على شرح النقاية لعلي القاري خير دليل على براعته اللغوية وانتقائه بأجود الألفاظ و أحسن الأساليب التي ذكر فيها معلومات عن أسرته ونسبه، كما قام بذكر أسباب كتابة التعليقات والحواشي على الكتب العربية الأدبية والدينية :

نحمدك يا من أنمي أهلة الفقه وفروعه وغصونه فأورقت وأثمرت، ونجومه فتلا لأت وتنورت لآلئه في قلوب أوليائه، وأصفيائه التي كالبحار المتلاطمة فضلا وعلما فتجوهرت وأنهاره التي أخذت في المد، فاسترحبت واستبحرت وجعل كعب الفقهاء عليا ووفقهم للإستنباط من كتاب الله ورسوله، فلم يزل غيث الأحكام موليا.

ومضى يقول : ولما وهنت العظام، ووهنت القوى وقلت الصحة وكثر الجوى، وتبرقعت ببراقع المشيب بدل حلل الثياب القشيب، ورأيت يدي خالية عن الزاد ونفسي بعيدة عن سبيل الخير والرشاد، أردت أن أنسلك في سلك ناثري العلوم الدينية ... ولكن قصر باعي في العلوم يثبطني عن الغوص في هذا البحر المتلاطم الذخار مع كوني لا أولياء لي ولا أنصار،

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كمثل الأجرب"

ومضى يقول:

"هذا وقد ذهب أكثر عمري وخيره وتصرم، ولم يبق من أم أوفى سوى دمنة لم تتكلم، وأصعد مع الركب اليمانين هواي، وزال

السير عن عصاي، ولم يبق بغيمي مطير وقيل لي يا أبا عمير ما فعل النغير، ففرأت التعليق (شرح النقاية) يشبه إصطياد العنقاء بل اقتياد الجوزاء، وأخذني القنوط وملت بعد التعلي إلى الهبوط، وجعلت في وادي الحرمان كالنائم الفاتر الكسلان من غور إلى نجد ومن ربوة إلى وهد، وكنت مترنما بما قيل لما رأيت العلوم الأدبية إلي ناظرة، ونفسي محتاجة إلى زاد الآخرة والعلوم الدينية عني نافرة،

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا وأخرى بنا محبوبة لا نريدها". ٢٠

الشيخ إعزاز علي من حيث الشاعر:

وكان الشيخ مطبوعا على نظم الشعر فتخلو أشعاره من التصنع والتكلف، والكلمات العويصة، والعقيد اللفظي والمعنوي، وتفيض رقة وعذوبة، ويمتاز بالسلاسة والسهولة حيث لايتعذر على القاري إدراكه وفهمه.

وقد ازداد إنهماكه في الشعر فقام بإنشاء لجنة باسم "نادية الأدب" برئاسة العلامة أنورشاه الكشميري وكان يعقد حفله الأسبوعي بمقام نودره بالجامعة، وكان رئيسها العلامة الكشميري يحدد بيتا معينا لكى يعالج كل من الشعراء في نفس القافية والبحر والرديف، وأيضا يصلح أشعارهم و في بعض الأوقات هو والعلامة حبيب الرحمان العثماني يمتعان الطلاب بأشعارهما الساحرة لتغذية ذوق الشعر لدى الطلبة وتبريد غلتهم.

فالموضوعات التي تناولها في شعره هي المديح النبوي، ومدح العلماء البارزين، وزعماء السياسة المميزين، والترحيب، والرثاء، والحنين إلى الوطن.

قصائده: قصائده تشابه وتقارب قصائد العصر الجاهلي والأموي

والعباسي في الأسلوب، وفصاحة البيان، لا في المضمون والغرض، لأنه ما قال في مدح ممدوحه ليس الغرض منها التعصب أو التفاخر القبائلي والطائفي، إلا أنه تأثر من مآثرهم علما، أو دينا أو سياسيا. وهذه هي قصيدته في مدح النبي ﷺ التي ارتجل بها عند زيارته الضريح النبوي عام ١٣٤٩هـ وتحتوى القصيدة على ٣٨ بيتا وإليك بعض أشعارها.

رسول الله جئتك مستعيذا ... عليك صلاة ربي والسلام

كئيبا مستغيثا مستعينا ... على نفس تضيم ولا يضام

رسول الله جئت إليك ضيفا ... وحق الضيف تعرفه الكرام

غريب جاء من أرض غريب ... وليس له رفاق أو ندام

وأنت أبرهم وأرق قلبا ... وأرعاهم إذا رقدوا وناموا

سقيتهم وقد جاؤك عطشى ... وهل أنا راجع ولي الأوام

وسقيتهم وقد جاؤك مرضى ... فهل أنا راجع ولي العقام

(٢١

نرى أن هذه القصيدة رغما من خلوها عن الفصاحة والبلاغة والدقائق الفنية تسكن الأكباد الهائمة، و تذكى لوعة الحب والغرام في القلب، و الحنان والولاء للنبي ﷺ، وكونه أعز الناس وأبرهم وما إلى ذلك من الأمور التي يجب الإيمان بها، ولايوجد في كلامه شيء مخل بالعقيدة الإسلامية بعيد عن الإطراء والمغالاة الذين ليس لهما أي أساس في الشريعة الإسلامية.

وأيضا أناسب أن أنقل بعض قصائده الأخرى التى قيلت في مناسبات مختلفة تتبلور منها قدرته البيانية وخياله الواضح السهل، ومنها ما قال في مدح

الأمير عثمان علي خان سلطان دولة الدكن في الهند في عهد الحكم البريطاني، وهذه القصيدة تتضمن على ٢٠ بيتا:

عثمان عثمان قد ضاء ت به الدكن كلا وربي أضاء الأرض والزمن

زال المخاوف والأهوال من دكن وعمها الروح والريحان والأمن

عثمان مأوى لقوم ما لهم من سكن وملجأ لغريب ما له وطن

غوث الأرامل إذ باتت تسهرها الصروف من دهرها والذل والفتن

فهذه الدولة الغراء ماطرة على البرية جودا ماله ثمن .

(٢٢

قد إستخدم فيها الألفاظ السهلة السيالة وتجنب التعبيرات الغريبة والألفاظ الركيكة، ولم يبالغ في مدحه شيئا.

الوصف

وكان شيخ الأدب بارعا في الوصف وفيما يلي قصيدته التي تحتوي على ١٥ بيتا في وصف الكتاب باعتباره خيرجليس في الليل والنهار، وقارن بينه وبين الأحباء، و قد صاغها للحفلة الأسبوعية التي تدعى(نادية الأدب) وتعقد في الجامعة، والشعراء يقدمون فيها أشعارهم المقروضة على وزن محدد في نفس البحر والقافية والرديف، وذلك في أسبوع حدد رئيسها العلامة أنور شاه لهم وزن قصيدة معروفة من الحماسة، وهذه القصيدة تشتمل على ١٥ شعرا، مطلعها:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العيشة من عرار

أشعاره

ألام على التجنب والتخلي فقلت أجيبهم هذا شعاري

لقد طوقت في الآفاق دهرا وجبت الفقروالبيدالصحاري

وجربت البلادومن عليها وميزت الصغار من الكبار

رأيتهم عدوي في البلايا وأحبابي إذا أنا ذو يسار

ولكن الكتاب كتاب علم سميري في اليالي والنهار

خليلي في الهواجس والرزايا أنيسي مونسي حامي الذمار.

(٢٣

وأيضا يصف دارالعلوم ديوبند وأساتذتها وهذه القصيدة تشتمل ٣٦ بيتا

دارالعلوم بفيضها المدرار فاقت ضياء الشمس نصف نهار

من جاء يستسقي بحارفيضها يسقي بها عللا بفتح الباري

عادت تضيء وليلها كنهارها وتميزالأبرار من فجار

إن زرتهامازرت إلا روضة القا من القرآن والآثار...

ومدرسوها كلهم إلا أنا مثل النجوم هداية للساري

ذكرالإله طعامهم وشرابهم يتضرعون لكثرة الأذكار

(٢٤

قد وصف بأحسن وجه أساتذة دارالعلوم الذين لا هم لهم إلا غرس التقوى في قلوب الناس، ولا زاد لهم إلا التوكل، و قدموا التضحيات للإسلام، كما شبههم بالنجوم بسبب كونهم ناشرين النور في الظلمات.

مراثيه

نـجـد أنـه يجيد الرثاء حيث يقدم أمام القراء تصويرا صادقا بما يندفق من قـلبـه عواطف الحزن والألم، ويعبرعن مشاعره الحزينة، وقد رثى على شخصيات بـــــارزة أمثـال الشيـخ حبيب الرحمان العثماني، والشيخ الحافظ محمد أحمد رئيس الجا معة سابقا والشيخ عبد الرحيم الراي بوري، ونذكرهنا بعضا منها على النموذج.

رثائه على الشيخ حبيب الرحمان:

كان في حتف الحبيب حتوفي　　يـــا دار دنيـــا أنـــت دار صـــروف

يارائحا في ثوبك الملفوف　　يـطـول بـعـدك فـي الـطـلول وقوفي

أروى الثرى من مدمعي المعروف

لاينفع الإنسان جـــمع دارع　　إذجـــاء ه لـــلـــعـمـــر سيف قـــاطـع

لوكان من سود الخطوب مصانع　　أو كـــان مـن حـمـــرالـمـنـايـا مـانع

منعتك سمر قنا وبيض سيوف ٢٥

نـرى فيهـا الـخيال الواضح و العا طفة القوية، فيحس القاري حين قرائتها أنه يقرأ أشعار أبي العتاهيه بما يتلالأ منها الزهد.

في رثاء الحافظ محمد احمد:

نعى الناعون شيخا ذاحفاظ　　جـليـلا مـــاجـدا بـــا لـفـضل أحـرى

نبيلا فاضلا شهما ذكيا　　مـــطـيـــعـــا ربـــه نهيـــا وأمـــرا

فكم من أعين قد بيضتها　　دمـــوع قـــد جـرت بيـضـــا وحـمـرا

له خلد وللخدام حزن　　رأيـــنـــــا مـوتـــــه خيـــرا وشـــرا

(٢٦

الترحيب والتهنئة:

نرى أنه اهتم بنظم القصائد عند زيارة شخصيات بارزة لدارالعلوم، كما نظم قصيدة ترحيبية بمناسبة قدوم شفاء الملك أجمل خان إلى دارالعلوم ديوبند، وهكذا الشخصيات الأخرى كالشيخ حسين أحمد المدني حين نجا من السجن، فنقدم هنا قصيدةتشمل على ٢٢ بيتا ترحيبا بشخصية بارزة بمنا سبة زيارتهم دارالعلوم، وأشاد فيها دارالعلوم وأساتذتها

لاقت مريض البعد والهجران قلقا كئيبادائم الخفقان

وترحمت لما رأتني صاحب الآلام والأسقام والأحزان

قالت أيا اعزاز إخبر بالذي يقضي عليك بحمله الملوان

بمن أبتليت وحب من يسطوعلى خبيك حتى صرت كاالولهان

فبكيت ثم أجبتها يا من تغا فل عن قتيل الحب والهجران

لولا أشعة دار علم في الزمان لصار خلق الله كا لسكران

فيها أكابرأمة وبطلهم فاقت على الأمثال والأقران

(٢٧

الحنين إلى الوطن:

هناك قصيدة قرضها الشيخ حين كان بعيدا عن وطنه العزيز، وتذكر أصدقائه برؤية هلال العيد:

طلع الهلال علينا وما ترى فرحا كما لايرتوي بالماء ذوإستسقاء

يأيها القمرالذي قد نورت بطلوعك الآفـــاق فـــي الظلـــــماء

فاق الدهور ضياء وجهك مفرحا لكن حر الجمر في أحشائي

أين السرور بيوم عيد لي أنا خـــلـــفـــت أحبـابـي الـكـرام ورائـي

٢٨

قـد صـور فيها تصويرا صادقا لأحاسيس رجل غريب يبعد عن وطنه العزيز بسبـب مـن الأسبـاب الـفـادحة البـاهظة، وهذه القصيدة تتحيز مكانة مرموقة في قـلـوب الـنـاس، وتتـرك أثـرا هـائـلابكونها مشتملة على العاطفة القوية، والفكرة الجيدة والأسلوب البديع.

الفصل الثاني:

نبذة عن بعض معاصري الشيخ إعزاز علي البارزين

أبو الكلام آزاد

محي الدين أحمد المكنى بأبي الكلام آزاد، ووالده هو مولانا خير الدين بن مولانا محمد هادي بن شاه محمد أفضل بن مولانا محمد حسن، ولد في مكة المكرمة عام ١٨٨٨م، وقدم إلى مدينة"كولكاتا" مع والده في أيام الطفولة، ولكن القدر لم يمهل والدته بعد سفرها للهند طويلا حيث توفيت بعد ذلك بسنة، ودفنت بترابها، فحصل على التعليم الإبتدائي في بيته تحت رعاية والده لأن أباه كان كارها للإنجليز ومدارسهم ونسق حياتهم وكانت تبدو عليه منذ نعومة أظفاره علامات الذكاء والنبوغ، واستطاع بفضل ذكائه وفطانته وبصيرته الفذة أن يجمع بين العلوم الدينية، وقدتم تعليمه بسرعة فائقة غير الطريق الذي يتم عليه، كما يذكر مير شفقت علي:

> "وقد تم تعليمه بسرعة عجيبة حيث يفوق رفقاء درسه فيتم له الإلتحاق بصف فوقه، وهكذا يتكرر رقيته صفا بعد صف فنتيجة لهذه السرعة الفائقة قد اكتمل له درسه النظامي في الخامس عشر من عمره، واستوعب مواد الأدب، والمنطق، والفقه، والحديث

ولأجل الإتقان في علومه قام بخدمة الدرس حيث يدرس الطلاب، المطول، والهداية ".٢٩

براعته في اللغة العربية

كان أبو الكلام آزاد ماهرا و بارعا في اللغة العربية، وإن لم يصنف أي كتاب في اللغة العربية لكن هذه هي الحقيقة أنه كان له إلماما واسعا في اللغة العربية وآدابها، لأنه ولد وترعرع في الجو العربي الخالص في الحجاز وكانت أمه عربية النسل وكانت تتكلم العربية الفصحى، وكانت العربية هي لغة أمه وكانت تتمنى أمه وخالته ألا تؤثر عربيته اللغات الهنديةً وإن كثرة الكلمات العربية تدل على مدى سعته وتعمقه في اللغة العربية وحتى بعد الهجرة إلى الهند لم يزل منهمكا كل الإنهماك في اللغة العربية، لأن كثيرا من العلوم الإسلامية قد حصل عليها آزاد تفسيرا وحديثا وفقها وأصولا وأدبا معظمها في اللغة العربية.

آزاد من حيث المفسر:

إن مولانا آزاد يمتاز بين العلماء الأفاضل بضلوعه من القرآن وتفسيره إلى جانب إلمامه بالعلوم الكثيرة، ومن أهم أعماله التي قام بها في هذا الباب هو تفسيره "ترجمان القرآن" ونجد هذا الكتاب أقل حجما، وأكثر وضوحا نظرا للتفاسير الكثيرة المملة، ورغما من الإجتناب عن الإطناب قام بتقديم مطالب القرآن ومفاهيمه في أحسن نظم، وأجود نسق، وبذل الجهود المضنية بصدد هذا التفسير البديع، وأجهد نفسه سنوات كثيرة لأن هذا التفسير استغرق زهاء ٢٧ سنة حيث يقول بنفسه :

"لقد مضى على سبع وعشرين عاماتماما، والقرآن كان موضوع

مطالعتي ودراستي سحابة الليل والنهار، وذهب بي الفحص والتفكير وراء سور القرآن وآياتها بل وكلماتها إلى أبعدحدود، وأوسع نواحيه" ٣٠

وهذا التقسير يليق أن يشاد به ومساعي كاتبيه، لأنه سلك مسلكاجديدا ولم يتبع المفسرين القدامى و الجدد، وأوجد معاني مبتكرة و نكات جديدة، ولأجل ذلك نرى أن هذا التفسير قد نال الإعجاب والقبول في الحلقات الأدبية، والأوساط العلمية، ونجد العلماء البارزين أنهم قاموا بالثناء على هذا التفسير، فها هو ذا الشيخ الأديب الأريب السيد سليمان الندوي قد إستخدم كلمات الثناء لهذا التفسير حيث يقول:

أما أنا فأقدر تفسير "ترجمان القرآن" تقديراحيث أن المصنف مولانا آزاد تعمق في الموضوع واختار في تفسيره طريقة العلامة ابن تيمية، وابن قيم ونهج منهجا، وعرف روح هذا العصر وسلك مسلكها في زمن الفتنة الإنجليزية الإفرنجية" ٣١

وكان نهما باالاستطلاع، ومشغوفا با القراءة وكثرة المطالعة، وكان يتصفح الجرائد والمجلات العربية التي كانت تصدر من جمهورية مصر العربية، وسوريا وما إلى ذلك من البلاد العربية وبدأت تظهر بعض علامات الإنقلاب في أفكاره الدينية، فأصبح يخالف نهج والده المشتمل على التقليد وإتباع نهج السلف، وبدأ يؤيد الأفكار الدينية للسد أحمد خان.

آزاد والسياسة:

لايجهل أحد عما هو مبرز أمام عينيه من النشاطات السياسية الفعالة لأبي

الـكـلام آزاد فـي فتـــرة انطلاقة حركة التحرير الهندية التي تعتبر من أزهى فترات تـاريـخ الهند المشرقة، حيث ظهرت شخصيات بارزة على الأفق الهندي، وسطع عـلـى مسـرح السيـاسة الـوطـنية أبـطال أولوا عزائم وهمم ونظريات عظيمة، قد تـجسـد فيهـم الثبـات والـصـمـود والـجـرأة والبسـالة، لهم استعداد تام لتتقديم تـضـحيـات ذاتية عـظيمة في سبيل تحرير الوطن من براثن الإستعمار الإنجليزي، وقـد قـامـوا بتقديم نفوسهم نذورا للوطن، وحريته وإستقلاله، ومن تلك الأعلام البارزة علم مولانا أبي الكلام آزاد.

وفـي تـاريـخ الهـند المتمثل في الكفاح فاننا نجد إسم أبي الكلام آزاد يـاتـي فـي مـقـدمة قادة طلائع الحرية، لأنه كان من أبرز الزعماء المسلمين الذين لـعبـوا دورا قيـاديـا في إيقاظ المسلمين من سباتهم، وفي حركة تحرير البلاد من مـخـالـب الإستـعـمـار الغاشم، كما أنه سجن غير مرة وذاق مرارة الإعتقال على أيـدى الـعـدو الإنـجليز الذي يحتضن العدوان الصارخ لخفض أصوات المقاومة لـلهنود ليحكم في الهند كيفما يشاء، فنراه يلقي الخطب النارية المليئة بالعواطف الـمـلتهبة الـمشتـعـلة، وبـمشاعر الغضب العارمة ضد الإستعمار الإنجليزي الذي يمحو جميع معا يير الإنسانية و القيم الأخلاقية، حيث يقول:

> إن هـذه الـحـكـومة ظـالـمة وأن كـل حـكومة لم تقم على العدل لتـخضع للعدل، وإلا ليجب أن تمحى آثارها .. لو تحملون الوجع فـي قـلوبكم لإخوانكم المعتقلين، فعلى كل واحد منكم أن يتفكر هـل هو راض ببقاء تلك القوة الظالمة التي قامت بحبسهم في هذه القارة مثلما كانت حاكمة عند اعتقالهم "٣٢

ويعتبر عام ١٩١٢م عاما حافلا بالنشاطات والخدمات، حيث أصدر مجلة الهلال الأسبوعية من مدينة كولكاتا ، ويدعو المسلمين إلى خدمة دينهم الإسلام، والتمسك بالكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذه المجلة لعبت دورا هاما في تغيير أوضاع المسلمين السياسية والدينية، وهذا في مدة ثلث سنوات فحسب، فانضم المسلمون مع الهندوس في نشاطاتهم السياسية رغما من أنهم كانوا يتخذون موقف الإنفصال عن حركاتهم ونشاطاتهم بسبب موامرة الإنجليز، لما قاموا بها لبث الذعر في قلوب المسلمين والحقد تجاه الهندوس، كما أنه قام بحث العلماء بضرورة الاهتمام با لأمور السياسية، والإعتناء بغرس بذور الإيمان في قلوب الذين نالوا حظا وافرا من الثقافة الغربية الحديثة.

وكان يقلق بأوضاع المسلمين بماحدث بينهم التشكك الفكري والتوتر الديني، فهاجم من خلال مقالاته في مجلة الهلال على الجهالات السائدة في أسلوب ملتهب نابع من الدين والشريعة:

"ويستيثير همم المسلمين حتى يتقدم الصفوف في الكفاح ضد الإستعمار، الذين سجل لهم التاريخ صفحات المجد والفخار".

٣٣

أبو الكلام آزاد والخلافة العثمانية.

وكان آزاد من مؤيدي الخلافة العثمانية، وكان من مقدمة القادة و الساسة الذين بذلوا جهودا مضنية في خدمة الخلافة العثمانية حيث يقول:

ولا أنكر بأن بين سنتين لم يمض أي صبح أو مساء إلا وقد أعلنت

فيه جور الحكومة تجاه قضيتي ولاية بنجاب، والخلافة، وأعترف بأنني قلت أبدا بأن الحكومة التي لا تستحي على مظالمها التي قامت بها في ولاية بنجاب، وهدرت حقوق الخلافة العثمانية لا يمكن أن يتمتع بوفاء الهنود، وإخلاصهم بأنها تقوم مقام خصم محارب" ٣٤

وهكذا سرت في البلاد فكرة الحفاظ على الخلافة العثمانية، وفكرة الإتحاد الوطني، وإتجاه المكافحة لأجل الحصول على العزالمفقود، والميراث المنهوب، واستمرحتى استقلت الهند عام ١٩٤٧م وبعد هذا الفتح المبين بدأ يتحمل المسؤليات الجديدة، حيث كان عليه أن يدبر أمور الدولة لبناء العلاقات الثنائية بينهما وبين الدول الأخرى في العالم، وتولى على منصب وزير التعليم والثقافة في الهند، ولفظ أنفاسه الأخيرة عام ١٩٥٨م.

شبير أحمد العثماني

شبير أحمد العثماني كان رحمه الله من العلماء الأفذاذ، ومن رواد النهضة العلمية والمحققين الباحثين العظام، قد ولد في ١٣٠٥هـ في بلدة ديوبند، وكان عاكفا على العلم والدراسة منذ نعومة أظفاره، وكان والده من مؤسسي دارالعلوم ديوبند، فالتحق بدارالعلوم في المرحلة الإبتدائية عام ١٨٩٤م وكان ساحة دارالعلوم إذ ذاك مستنيرة من الأدباء الكبار والمحدثين العظام، فأخذ يغترف من بحارهم، ويرتوي من علوم شيخ الهند محمود حسن الديوبندي حتى أصبح لسانه الناطق، وشارح أفكاره وتخرج في١٩٠٧م واشتغل بوظيفة التدريس في

مدرسة فتحبوري بدلهي، ثم في دارالعلوم وكان يمتلك مقدرة علمية فائقة وإمكانيات علمية عجيبة، وكان عالما متنوع الثقافة عالما قادرا على اللغة العربية والأردية معا، وسرعان ما اشتهر فيما بين الطلبة بذكاوته، وكثرة علمه، وحسن تدريسه وقوة خطابه، وجودة كتابته السيد محبوب رضوي يكتب:

وأسمه في قائمة العلماء الأخصاء علما، وفضلا، وفهما وتدبرا، وإصابة في الراي، وكا ن يجمع بين طلاقة اللسان، ورشاقة القلم، وكان أديبا أريبا للغة الأردية، كما أنه يمتلك ملكة الخطابة الساحرة، إلى جانب إمتيازه في مجالى الخطبة والكتابة بكونهما منطوية على الفصاحة، والبلاغة، والدلائل السهلة، والتشبيهات البليغة،والأسلوب الرائع، والنكات الكثيرة" ٣٥

ولم يزل يدرس في دار العلوم كتب الصحاح إلى أن ألجأته الظروف إلى الإستقالة عام ١٣٤٦هـ، فغادر إلى دهابيل مع صنوه الكبير الشيخ العلامة المفتي عزيزالرحمان العثماني، وإمام العصر محمدأنور شاه الكشميري، وكان العلامة الكشميري كثير العجاب بعلمه معترفا بإمامته، فاشتغل بتدريس علم الحديث في الجامعة العثمانية بدهابيل، ثم عاد إلى ديوبند عام ١٣٥٤هـ، وتولى منصب إدارةالجامعة، وكانت شخصيته متعددة الجوانب فكان أديبا بارعا ومفسرا كبيرا وكان متكلماوحيدا، كما اعترف به الأساتذة وكبار العلماء كماكتب محمد خالد :

وكانت شخصيته متعددة الجهات فكان محدثا، ومفسرا، ومتكلما، كما كان معقوليا، ومصنفا، وخطيبا وشخصيته تمتاز في

كل مجال من هذه المجالات كما أنه لم يخلف في النشاطات السياسية، والأعمال الدينية، والإصلاحية، ولم يعترف بعلمه وفضله تلامذته ومعاصريه فحسب بل أساتذته وكباره أيضا تغنوا بأناشيد علمه وفضله، واعترفوا هذه الحقيقة مرارا وتكرارا ... فها هو الشيخ أشرف على التهانوي الذي قال في مؤتمر الأنصار الذي انعقد في مدينة ميرت

"أنا أوقر صغيرنا أيضا وإن لم يعترف أحد من متبعى هذه الحقيقة، أما أنا فأعتقد أن مولوي شبيرأحمد الذي تمتعتم بخطبته هو صغيرنا لكنني أستكبره، ونرجو منه أنه يستطيع أ ن يقوم بكل الأعمال الجليلة، فالآن لا نخاف الموت، لأن جماعتنا لا تزال تنجب رجالا يمتلكون الخبرات والصلاحيات "٣٦

وقبل أن يتم تقسيم الهند في ١٩٤٧م هاجر إلى باكستان، و بدأ يعيش هنا، وعين رئيسا للمجلس التأسيسي، ويساهم في إعداد مشروع القانون الإسلامي، ويقوم بالخدمات العلمية والملية، ودعاه وزارة التعليم لمدينة بهاولبور بأن يشرف على الجامعة الإسلامية المرجع العلمي القديم في باكستان، ويقوم بإصلاح حالها، وكان يلقب بشيخ الإسلام ، وقدتوفي يوم ٢١ صفر المضفر عام ١٢٦٩هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٤٩م ودفن في كراتشي.

دوره في السياسة الهندية.

ولأنه كان تلميذا رشيدا لشيخ الهند فلم يخلف عن السياسة، وقد أدى دورا بارزا في السياسة الهندية وكان عضوا فعالا لحركة الخلافة، وساهم في جمع

التبرعات بكل تحمس ومحبة لمساعدة الخلافة العثمانية والأتراك، وتمتع بعضوية جمعيةعلماء الهند لمدة طويلة لكنه انعزل عنها بسبب حدوث الخلافات تجاه قضية التعاون مع حزب المؤتمر، وانضم إلى الرابطة الإسلامية لكنه فيما بعد نخب رئيسا لجميعة علماء الهندعام ١٩٤٦م.

اثاره

ومن آثاره العلمية الخالدة تعليقاته على ترجمة شيخ الهند للقرآن يعرف بالفوائد العثمانية و"إعجازالقرآن" "بين العقل والنقل" رسالة الإسلام"

ومن أهم انتاجه العلمية الرائعة الخالدة فهو شرحه لصحيح الإمام المسلم المعروف بفتح الملهم، كما قام بكتب مقدمة علمية طويلة، وأسهب الكلام في البحث عن الرواة والرجال، وعن صحة الإسناد، وعدم الصحة، والأخبارالآحاد، والمشهورة كما قام بالبحث عن المعضل، والمعلق والمرفوع، والموقوف وهذ الكتاب في ثلث مجلدات أشمل وأبدع ما ألف من الشرح، لكن وافته المنية قبل إتمامه وأخيرا قام الشيخ المفتي محمد تقي العثماني أحد العلماء البارزين في باكستان بخاتمه - بحمد الله ومنه -وهوالآن في مجلدات ضخمة المعروف بتكملة، فهذه كلها مؤشرات على نظره الدقيق ووسعة أفقه وتعضله من الحديث، وفنونه إضافة إلى بيانهالساحر الخلاب.

حسين أحمد المدني

وهو العالم المجاهد الباسل الذي غامر للكفاح عن الدين والدفاع عن وطنه العزيز، وظهرعلى شاشة الوجود عام ١٩٢٦م، في بلدة "بانكر مؤ" في مدينة

أناو، وكان في الأصل ينتمي إلى بلدة تاندة بمديرية فيض آباد، وتلقى العلوم الإبتدائية في بلدته تاندة ، ثم التحق عام ١٤٠٩هـ، بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، ومكث هنا سبع سنين تحت إشراف أخيه الأكبر صديق أحمد وشيخ الهند محمودحسن، ولازم شيخ الهند ولم يزل يرتوي من مورده المتدفق المواج إلى جانب تلمذه على جهابذة الأساتذة الربانيين البارعين أمثال الشيخ ذوالفقار علي، والمحدث الجليل خليل أحمد السها رنبوري، وغيرهم من العلماء، وتضلع من علوم الحديث والفقة، وتخرج في ١٣١٦هـ. وفي نفس السنة عندما قامت أسرته بالهجرة إلى المدينة المنورة فشيخنا أيضا غادر إلى مدينة النبي ﷺ، وهنا تلمذعلى الشيخ الآفندي عبد الجليل بردة، وتبحر في العلوم الأدبية وقرأ الحديث على المحدثين المبرزين أمثال الشيخ حبيب الله المكي الشافعي، والشيخ عبد السلام داغستاني مفتي الأحناف بالمدينة، والشيخ السيد أحمد البرزخي.

وأستاذه الشيخ محمود الحسن لما ودعه إلى المدينة نصحه الإلتزام بالتدريس، فامتثل لأمره وبدأ يلقي الدرس في الحرم النبوي إلى أن عاد إلى الهند سنة ١٣١٨هـ ولما ذهب إلى المدينة المنورة مرة ثانية عام ١٣٠٢هـ، فنالت ـ ولله الحمد دروسه ومحاضراته قبولا كبيرا وتقديرا عظيما، فتوافد الناس عليه من جميع نواحي الحجاز، حيث طار صيت دروسه في الشرق الأوسط، وأفريقيا، وجميع أنحاء العالم، وبدأ يدرس الكتب المتداولة في الهند، وجامعات مصر، والبلاد العربية ويسقي الطلبة، ويبرد غلتهم من منهله العلمي الفياض الجاري في أسلوب جيد بديع ممتاز وكان أسلوبه في دراسة الحديث النبوي بديعا ممتازا،

فكان يبين أسانيد الحديث وطرقه، ويبحث في الرواة وفق الأصول المقررة في علم أسماء الرجال كما يحل معضلات اللغة ومعقداتها ويذكر درجة الأحاديث من ناحية صحتها وضعفها ثم يبين مفهوم الأحاديث و لا يترك مشكلة في فهم الحديث.

و عاد من الحجاز عام ١٣٢٧ وتولى منصب رئاسة هيئة التدريس حين إستقال الِشيخ العلامة أنور شاه الكشميري من منصبه، ولم يزل عليه إلى أن توفي عام ١٣٧٧هـ.

دوره في كفاح الهند:

وقد لعب دورا هاما بمصاحبة أستاذه شيخ الهند محمود الحسن، وخاض في المضمار السياسي، وتقلد زمام المسلمين وتقدم الصفوف بقلب شجاع، وحمل لواء الثورة ضد المستعمرين.

كما له في ذلك مواقف مشهورة تذكر وتحمد، وسيسجلها التاريخ، ويحفظها على مر العصور، ولم يكن له هذه الصفحة فحسب بل كان عظيما نبغ في العلم، وأصبح من أفذاذه، وتبحر في التصوف وهدى الكثير من الناس إلى الصراط المستقيم والطريق القويم، كما كتب الأستاذ عبد المنعم النمر:

> وكان العجب في مولانا المدني في أنه يجمع في شخصيته كل هذه الجوانب وتلك هي ميزاتها النادرة بين العظماء، وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد، كان رجلاسياسيا نظيفا، ولم يكن في سياسته ينظر تحت أقدامه، ويقتصر على شؤون وطنه،

وإنما كان سياسيا بعيد النظر يربط بين سياسة البلاد و سياسة الأمم الإسلامية و الشرقية"٣٧

كـما أنه نراه يلقي الخطب النارية ضد الإنجليز الغاشم المحتل، ووصفهم عـدوا لـلإ سـلام والـمسـلـميـن، وحث الهنود ضدهم بأن عليهم أن يشمروا عن سواعدهم لطردهم من أرض الهند كما تنقل خطبته صفية عامر :

In the speech at Delhi in 1921 he assured his audience the thay ware not bound by the Shariat at to obey there unjust rulers in fact it was obligator on muslims to oppose them for according to a Hadith the best form of Jihad was to speak out fearlessly befor a tyrannical ruller. Having stablished that the British were the greatest enemies of muslims he reasoned that it was only securing freedom from their domination that Indian Muslims could savegaurd their religion and therefor their religious duty to struggle for such freedom.

٣٨

بساطته و جلاله:

كـان الشيخ المدني شيخاجليلامهيبا يجله تلاميذه أشد الإجلال ويحبونه مـن إعـمـاق الـقـلوب، ويرتمون تحت أقدامه ليغترفوا من علومه وفيوضه، وكان عالما متواضعا في ملبسه يكتفي بلبس الثياب الخشنة الرخيصة حتى ليبدوا للناظر إليـه كـأنه فقير معدوم، ومفلس حقيقي على الرغم أنه قادر على أن يرتدي أحسن الثيـاب، وأجـمـل الـلبـاس ولكنه مع تواضعه في لباسه كان مهيبا في مظهره يملأ الأعييـن إجـلالا وإحتـرمـا، وكـان زاهـدا فـي أمـوور الـدنيا، وكان لا يرغب إلى منصب، ولا يتطلع إلى جاه بل يحتقرأعلى المناصب والجاه.

آثـاره: ألف كتـابا ورسائل عديدة، وقد قام بترتيب فتاواه المفتي سلمان المنصور بوري سنة ١٤١٨هـ باسم " فتاوى شيخ الاسلام" " الشهاب الثاقب" سفرنامة شيخ الهند"

"مكتوبات شيخ الإسلام" إعفاء اللحية" المعراج الجسماني" .

السيد سليمان الندوي

ولد السيد سليمان الندوي في صفر ١٣٠٢ هـ/ نوفمبر ١٨٨٤م، وكان اليوم يوم الجمعة.

موطنه

وكـان مـوطـنـه قـرية ديسبنة (التي تقع على بعد ١٦ ميلا من بتنة عاصمة ولاية(بيهـار) وكان أبوه السيد أبو الحسن طبيبا حاذقا مثل أجداده، وكان متقيا صـالـحـا جـدا، وكـانت أمه إمرأةصالحة وعابدة ، وكان لها حب شديد بالذات النبوية، ويمكن لنا أن نقدره بأنها إذا شرفت بزيارة الحرمين الشريفين غلب عليها

حب ربوع الحبيب إلى حد تركت الزى الهندي، واختارت قرابة نفس الزي كان تلبسه نساء العرب في ذالك العهد.

حصل السيدسليمان الندوي على التعليم الإبتدائي في بيته من معلم قريته السيد مقصود علي أخدوسي كماجرت العادة آن نذاك، وتعلم بعده من أخيه سيد أبي حبيب الذي كان أكبر منه بنسبة ١٨'١٩ عاما، والذيفرغ عن التعليم في زمن بداية تعليم السيد سليمان الندوي، فبدأ يتعلم منه وقرأ عليه الفارسية، وميزان، ومنشعب، وزبدة، وصرف مير، وفصول أكبري وشرح ملا جامي، في العربية والتحق بدارالعلوم ندوة العلماء عام ١٩٠١م وكان يعلم فيه الصرف والنحو والفقة ،والفرائض، والمنطق والحساب، وكان يعد السيد سليمان الندوي من أبرز طلاب دارالعلوم ندوة العلماء وأبرعها قبل مجيء شبلي النعماني إليها لكن أنار جواهره تربية العلامة شبلي وفيض مصاحبته، شاه معين الدين أحمد الندوي يكتب

"وقد نشأ فيه الذوق السليم في عشرة المولانا شبلي الكلامية، حتى لم يدع أن قرأ كتب عبد الكريم شهر ستاني، وابن حزم، التي لجأ إليها مولانا في تأليفه هذه كثيرا كأن هذا كان تأسيسا لتذوقه فيعلم الكلام الذي أصبح فنه الخاص فيما بعد "٣٩

وفرغ من تعليمه في عام ١٩٠٧م ثم نرى في ١٩٠٨م أنه تم إنتخابه كمعلم اللغة العربية في دارالعلوم، ندوة العلماء وتم تعيينه نائب الأديب، وبقي على هذه الوظيفة من ١٩٠٧م، إلى أن أنتخب أستاذا مساعدا للغة الفارسية بكلية دكن ببونة، وذلك في ١٩١٣م ولم يقم بكلية دكن إلا مدةيسيرة، ورجع إلى أعظمكره

لأن يتولى إدارة دارالمصنفين.

علاقته بدارالمصنفين :

كـان يترأس تحرير مجلة معارف، و كان منشغلا بترتيب مسودات أستاذه الـمتـروكة سيـــــرة النبي و تبويبها أيضا، وقدم أمام الناس تخطيط تدوين التاريخ الإسـلامـي الـكـامـل فـي الهند و ترتيبها ماعدا تاليفاته المرموقة، و كان شخصيته متـعـــددة الجوانب و كان يمتلك القدرات الفائقة في التاريخ و الأدب و النقد إلى جانب مهارته في الفقة و الحديث كما قال عنه السيد أبو الحسن علي الندوي:

"كـان مـن مزاياشخصية السيد سليمان الندوي الجامعية الشمول فـي الـمـعـرفة و البـحـث فقدكان خبيرا بالعلوم القديمة و العصرية، و كـان مـؤرخـا و أديبـا و نـاقـداومـحققا وبجانب ذلك كان فقيها ومـحـدثـا فـيآن واحـد وبـالإضـافة إلى هذاالاشتغال و الشغف با لبحث العلمي". ٤٠

براعته في اللغة العربية:

و كـان يـعرف اللغة العربية معرفة جيدة إلى جانب إجادته اللغتين الفارسية و الأردية، ومـقـالاتـه قـد طبـعـت أكثر من مرة في "المنار" وغيرها من المجلات و الـصـحف، و كـان شـاعرا مطبوعا يبدع في الوصف. وهناك قصيدة قد وصف فيها الشمس عند مغيبتها يتبلور منها خياله العميق الواضح.

دن من القهوة الصهباء في الأفق والكأس تطفو به لا الشمس في الشفق
بل أنه برقع قـــان لـــــه شية والشمس وجه جيب بالعجـــاب بقي
بل إنما الشمس للصا غ بوتقة قد ذاب عسجدها وانثـــج في طـرق

بل إنماالشمس في أعمارنا قتلت يوما فسال دم جـــاري مــن عنــق

فذلك الشفق المحمر من دمــه وقبره ليله المستـــور بالـــغسق ٤١

قـد شبـه الشـمـس بـا لصهباء بأحسن طريق، وشبه غيبوبتها بذأب الفضة وهـذه الـقـصيـدة تدل على عمق فكره في المضمارالشعري، وإن لم يهتم بقرض الأشعارالكثيرة، وتشبيهاته البديعة تميزه من أقرانه ومعاصريه،.

وكـان يتـكـلـم الـلـغةالـعربية الفصيحة كما أن يكتب، و يؤشر إليه واقعة حدثت حيـنـمـا كان طالبا في الصف الأخير، فألقى خطبته في الجلسة السنوية إندهشت بهـا الـجـلسة كلها إلى أن تأثر بها الشيخ شبلي النعماني، حيث يكتب إلى حبيب الرحمان الشيرواني :

" إن سـليـمان بدأ يوزع خطبته بلا أي تاخير في العربية الفصيحة، والـصحيحة جدا، فتحيرالحاضرون كلهم، وصاحوا أنه لقد جاوز الحد ".٤٢

دوره في السياسة الهندية

وكـان الشيـخ السيـد سـليـمـان الـنـدوي يـعتـنـي بالسياسة أيضا بجانب إعتنائه بـالتـحـقيق والتأليف، ولفت إهتمامه إلى العلوم الدينية والأعمال الإصلاحية لأنه عـاش فـي وقـت كـانت الهند تشهد أخطر الأوضاع السياسية والأزمات الودية، فـلـم يـزل يشـارك فـي الـحركات الدينية والسياسية للهند ففي حين إرتفع قضية اللغتين الأردية والهندية فلم يضبط على نفسه، وأعرب عن رأيه

"إن كـلتـي الـلغتين يناسب أن تمهد لهما الطرق للتطور والرقى إنفراديا، لأن هذا أمـر مستـحيـل بأن تقوم اللغة الأردية بمحو اللغة الهندية وهكذا عكسه، ولا تزال

هـاتـان الـلغتان تسلكان سبيلهما وهكذا أعرب عن نفس الرأي في مؤتمر عموم الهند الذي إنعقدت في عليكره في أكتوبر عام ١٩٣٦م" ٤٣

كـمـا نـراه قد لعب دورا هاما بمصاحبة أعضاء حركة الخلافة بما حدثت في نفسه العواطف والمشاعر نظرا إلى مأساة المسلمين في العالم .

مؤلفاته:

قـد خـلف لـنا آثارا علمية قيمة ومن أهم مؤلفاته كتاب"سيرةالنبي" ﷺ وأيـضـا تـاريـخ أرض الـقـرآن في مجلدين و"سيرة عائشة" و"خطبات مدراس" و"دروس الأدب" و"خيام".

المراجع

١) المعارف دارالمصنفين شبلي اعظم كره ابريل ١٩٩٢م.

٢) مختصر نفحة العرب ص٣=٤.

٣) اعزاز علي، نفحة العرب ص ٤٣.

٤) اعزاز علي، نفحة العرب ص ٢٦٢.

٥) افتخار علي، سوانح حيات شيخ الأدب والفقة ص ٢٦.

٦) نفس المرجع ص ٢٦.

٧) اعزاز على التفهيمات، شرح المقامات الحريرية. ص ١١١-١١٢.

٨) نفس المرجع ص١٠٨.

٩) المنتخب من ديوان المتنبي ص ٣.

١٠) نفس المرجع ص ٧٧.

١١) أبو تمام، ديوان الحماسة ص١١ .

١٢) أبوتمام، ديوان الحماسة ص ١٢.

١٣) مفيد الطالبين ص١٤.

١٤) حاشية الشيخ إعزاز علي، مفيد الطالبين للشيخ أحسن النانوتوي ص١٦.

١٥) نفس المرجع ص١٨.

١٦) إعزاز علي، نفحة العرب ص٣٠٤-٣٠٧.

١٧) نفس المرجع ص ٥-٦-٧.

١٨) مقدمته على ديوان الحماسة ص٢-٣.

١٩) مقدمة إعزاز علي على ديوان المتنبي ص١ ط المكتبة الرحيمية.

٢٠) مقدمة شرح النقاية مع حاشية محمود الرواية المكتبة الاعزازية.

٢١) انظرشاه تذكرة اعزاز)ص٨٩-٩٩.

٢٢) زبير احمد الفاروقي مساهمة دارالعلوم ديوبند في الأدبالعربي ص١١٦.

٢٣) تذكرة اعزاز ص ٩٣.

٢٤) انظر شاه تذكرة إعزاز ص٩٤-٩٥.

٢٥) زبيراحمد مساهمة ١٥٧.

٢٦) تذكرة اعزاز٩٦-٩٧.

٢٧) افتخار علي، سوانح حيات شيخ الادب والفقه ص ٤٨-٤٩.

٢٨) نفس المرجع ص ٦٥.

٢٩) أيوان أردو، مولانا آزاد نمبر ص٨٠، ديسمبر ١٩٨٨، أردو أكادمي، نيو دلهي.

٣٠) ترجمان القران ج١ ص ٥١ مولانا أ بو الكلام ازاد ساهتيه اكيدمي نيو دلهي ١٩٦٤.

٣١) ثقافة الهند، عدد خاص، ديسمبر ١٩٨٨، ص ٢٠٠.

٣٢) قول فيصل، أيوان أردو، أبو الكلام آزاد نمبر، ص ٢١٥- ٢١٦ ديسمبر ١٩٨٨.

٣٣) أبـو الـكـلام آزاد، عبـد المنعم النمر، ج١ ص٨٦، جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام ١٩٧٤م.

٣٤) قول فيصل، أبو الكلام آزاد نمبر، أيوان أردوص ٢٢٣-٢٢٤ ديسمبر ١٩٨٨.

٣٥) محبوب رضوي، تاريخ دارالعلوم ديوبند ج٢ ص٩٩ ط أول ١٩٧٨.

٣٦) محمد خالد مقالات عثماني (مباحث علم الكلام) الناشر دارالعلوم حيدراباد ط أول ١٩٩٢.

٣٧) جريدة الجميعة اليومية، عدد خاص (تذكرة شيخ العجم والعربحسين أحمد المدني)ج ٤٣ ط ١٥ فروري ١٩٥٨مكتبة باغنبورةغوجرانوالة.

٣٨) صـفية عـامـر، مسـلـم نيشـنهـود ان انديا، برسبشن آف سيون اليمنت تهمكرس، ص١٨١ كنشكا ببلشرز دستريبوترز، نيودلهي ط ٢٠٠١م.

٣٩) شاه معين الدين، حيات سليمان ص٢٥.

٤٠) أبو الحسن علي، شخصيات وكتب المجمع العلمي ندوة العلماء لكنؤ ص٧١.

٤١) مسعود الندوي، السيد سليمان الندوي البعث ص ١٤٨-١٤٩.

٤٢) شاه معين الدين، حيات سليمان ص٢٩.

٤٣) سيـد صبـاح الـديـن عبـد الـرحـمـان، مـولانـا سيـد سـليمان ندوي كي تصانيف (ايك مطالعة)ج ١.ص١٩ دارالمصنفين شبلي اعظم كره ط١٩٨٨.

الخاتمة

إن الـــفتـرة التي أعقبت الثورة الهـندية الـكبرى كانت فتـرة يـأس وضـيق للشعب الهندي بوجه عام، وللمسلمين بوجه خاص، لأن الإنجليز بدأ يتدخل في الشـؤن الـديـنية لـلـمسـلـميـن، ويـقـول إن الخلق لله، والملك للملك ، والحكم لـلشـركة، فـعـارض الشيـخ ولي الله هذه الفكرة وقال: أنه لا يتصور وجود ملك مسلم بدون نفوذ إلا إذا تصورنا الشمس بدون ضوء.

وبـقيـت الـحـال عـلـى هذا المنوال، والإنجليز يتمادى في نشاطاته، وبدأ يتـدخـل فـي الشـؤون الإسـلامية علنيا، فأول من أصدر الفتوى ضدهم هو الشيخ عبـد الـعـزيـز الـدهـلـوي، بـأن الهـنـد أصبحت دارالحرب لا دار الإسلام، وعلى الـمسـلـميـن أن يهبـوجـميـعـا للجهاد فأخذ العلماء يطوفون في المدن والقرى، ويحرضون الناس ضد الإنجليزحتى حدثت الثورة عام ١٨٥٧م التي أسفرت عن حـقد وغضب الإنجليز على الهنود، وخصيصا على المسلمين، ووصفوهم عدوا تـقـلـيـديـا، وخـائـنـا لـلـحـكـومة الأجنبية المحتلة، وما رسوا كل نوع من الظلم والـعـدوان الـذي تـعـادل هـمـلايا في شناعته وقباحته، حتى قاموا بشنق كثير من الـمسـلـميـن عـلـى الشـوارع الـعـامة، وصـادروا أمـلاكهم، وهدموا مساجدهم ومـعـاقـلهم، وملخص القول إن هذه الحكومة الغاشمة كانت تتمادى في ظلمها حتـى أصبـحـت جرثومة فتاكة تفتك بالأمة وتفت في عضدها، فتنبه إلى خطرها الـعـلـمـاء الـمـجاهدون لإستيصالها بعد أن تم إستفحالها، وعلى طليعتهم علماء ديـوبـنـد ومـنهم مولانا محمد قاسم النانوتوي الذي قام بإنشاء مدرسة دارالعلوم

ديوبند عام ١٩٦٢م ثكنة إسلامية، ومركزا للعلوم الدينية للحفاظ على بقية التراث الإسلامي ـ وبفضل الله تعالى تكللت مساعيهم بالنجاح، لأن دارالعلوم منذ أول يومها وجهت عنايتها إلى مطاردة الإنجليز الغاشم المحتل من الهند، وتصحيح العقائد، والمنع عن البدع والخرافات السائدة، و لها أكبر نصيب في العمل على التعاون، والاتحاد، واجتماع الكلمة بين الناس كي تسعد الأمة المسلمة وترقى، وتكون عزيزة الجانب، رفيعة المقام، كما أنها لفتت الإهتمام إلى إصلاح شؤون المسلمين، وتدبير أحوالهم، وترقية مستواهم العلمي والديني، وتحريضهم على التمسك بالكتاب والسنة بإلقاء المحاضرات العلمية، والدينية مما يرشدالناس إلى الخير، والتقوى، والأخلاق العالية.

فطار صيتها في العالم، وهرع إليها الطلاب وظمآن العلم والأدب من كل صوب وحدب، وجميع نواح العالم من أقصاه إلى أقصاه، فكان ذلك العصر عصرا ذهبيا في تارخ دارالعلوم المشرقة، فأنجبت دارالعلوم بأسرع وقت ممكن العباقرة، والنبوغ الذين لهم جولات وصولات في ميداني العلم والأدب، قد أصبح من العسير أن نحصى إنتاجاتهم بسبب كثرتها في علوم الحديث والقرآن.

ومما هو جدير بالذكر أن مدرسة ديوبند بدأت تتضاهى "جامع الأزهر" في مجالات خدمات أبنائها الدينية، والعلمية، والأدبية، ولذا لقبوها بأزهر الهند، ومن بين تلك الفضلاء والأدباء شيخ الفقة والأدب إعزاز علي، الذي ولد عام ١٢٩٩هـ في بلدة "أمروهة" بولاية أترابراديش، والتحق بمدرسة "عين العلم" وتلمذ على المفتي الأعظم الشيخ كفايت الله، ثم التحق بدارالعلوم ديوبند، وتخرج عام١٣٢١هـ /١٩١١م وكان الشيخ عالما مجتهدا ويدأب على

التضحية بالليل، ولايذوق النوم إلا غرارا، ومن أعماله الأدبية تأليفه نفحة العرب هومجموعة مختارة من روائع الأدب، فهذا الكتاب قيم، نافع جمع نصوصه من عدة كتب مبدئية في التاريخ والأدب، كالعقد الفريد" لابن عبدربه و "عيون الأخبار" لإبن قتيبة و"البيان والتبيين" للجاحظ و "الأغاني" لتزويد الطلبة المبتدئين بالذوق الأدبي السليم، وحثهم على الفضائل والخصائل الحميدة، واهتم فيه بجوانب التواريخ إلى جانب تجنبه عن إنتقاء الحكايات الفاحشة.

كما أنه قام بكتابة الشروح، والحواشي، والتعليقات على أمهات الكتب الأدبية العربية حيث قام بها بعد ممارسة التجارب ، حين تدفقت الحاجة والضرورة، بألا يتعذر، ويتعسر على طلبة آداب اللغة العربية، والعلوم الإسلامية، فهمها وإدراكها، فلا أرى أحدا يتضاهى شيخنا في كثرة إنتاجات الحواشي والتعليقات على الكتب العربية القيمة، وما رأيت أحدا سواه يهتم بذكر الدقائق اللغوية، والنكات المعنوية، والفروق بين المترادفات، التي قدأصبحت جزء خاصا به، وتؤشر على براعته العربية وخبرته اللغوية، وموهبته الخارقة، وتترك على القاري أثرا هائلا، فلا يتملك نفسه، ولا يبقى دون أن يصرخ قائلا ياشيخ الفقة والأدب، أنت تستحق أن تنتهي إليك رئاسة الأدب.

وأيضا بعض معاصريه البارزين الذين نالوا شهرة في أي مجال من المجالات العلمية، والأدبية، والسياسية، قد قمنا بذكر عبقرياتهم، وخدماتهم في هذه المقالة الوجيزة.

وفي الختام، أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه الخير ويرضى إنه على كل شيء قدير . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

الكتب العربية:

١) عبدالمنعم النمر، كفاح المسلمين في الهند، الناشر مكتبه وهبة ط ١٩٦٤م.

٢) عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد جمهورية مصر العربية، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام ١٩٧٤م.

٣) ثقافة الهند، عدد خاص، ديسمبر ١٩٨٨م.

٤) أبو الحسن علي الندوي، شخصيات وكتب، المجمع العلمي ندوة العلماء لكناو.

٥) نفس المؤلف.. القراة الراشدة، ج٣، مجلس الصحافة والنشر دارالعلوم ندوة العلماء لكهنؤ الهند١٩٨٦م.

٦) نفس المؤلف ...المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناو ١٩٩٨م.

٧) نفس المؤلف... القادياني والقاديانية (دراسة وتحليل) توزيع الجامعة الإسلامية با لمدينة المنورة.

٨) زبير أحمد الفاروقي، مساهمة دارالعلوم ديوبند في الأدب العربي، دارالفاروق، نيو دلهي ١٩٩٠م.

٩) عبيدالله القاسمي الأسعدي، دارالعلوم ديوبند مدرسة فكرية،

أكادمية شيخ الهند دارالعلوم ديوبند الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

١٠) واضح رشيد الندوي، الدعوة الإسلامية ومنا هجها في الهند، مكتبة أبو الحسن علي، دهلي ٢٠٠٤م.

١١) المنتخب من ديوان المتنبي مع الحواشي الغالية للشيخ إعزاز علي، مكتبة دارالعلوم ديوبند ط ديسمبر١٩٩٧م.

١٢) أبو تمام، ديوان الحماسةمع الحواشي للشيخ إعزازعلي، مكتبة أشرفية١٩٨٦م.

١٣) حاشية الشيخ اعزاز علي، مفيد الطالبين للشيخ أحسن النانوتوي، الناشر فيصل ببليكيشنز ديوبند.

١٤) إعزازعلي، نفحة العرب مكتبة إعزازية ١٩٨٣م.

١٥) ثقافة الهند، المجلد ٥٢. العدد ١ ط٢٠٠١م.

١٦) ثقافة الهند، عدد خاص، ديسمبر ١٩٨٨م.

١٧) أشفاق احمد، مساهمة الهند في النثر العربى خلال القرن العشرين.

١٨) مقدمة شرح النقاية مع حاشية محمود الرواية، للشيخ إعزازعلي، ط مكتبة إعزازية ديوبند.

١٩) الداعي، شعبان ١٤٢٣/أكتوبر نوفمبر٢٠٠٢دارالعلوم ديوبند.

٢٠) الداعي، عدد خاص، مارس وابريل ١٩٨٠م/جمادالأولى والثانية ١٤٠٠هـ دارالعلوم ديوبند.

٢١) محمد طيب، علماء ديوبند ومزاجهم الديني، ط ١٤٢٢ مكتبة

دارالعلوم.

٢٢) البعث الإسلامي لكناو الهند شعبان ، رمضان شوال ١٣٩٥هـ.

٢٣)غلام أحمد القادياني، دافع البلاء فى روحاني خزائن.

٢٤)نفس المؤلف ...التذكرة الشركة الإسلامية ربوة.

٢٥) نفس المؤلف ...خطبة إلهامية روحاني خزائن.

الكتب الأردية:

١) السيد محمد ميان، علماء هند كا شاندار ماضي ج٢-٣ كتابستان قاسم جان اشتريت، دلهي، ١٩٨٥م.

٢) نفس المؤلف.. تحريك ريشمي رومال، مكتبة جاويد ديوبند، أترابرديش الهند،٢٠٠٢م.

٣) أسير ادروي، تحريك آزادي اور مسلمان، دارالمؤلفين ديوبند، ط٧ ابريل ٢٠٠٢

٤) عبد الحق، سرسيد أحمد خان، حالات وأفكار، اردو مركز، اردو بازار ط ١٩٦٢م.

٥) محبوب رضوي تاريخ دارالعلوم ج ١مكتبة دارالعلوم ط١٩٩٢م.

٦) محبوب رضوي، تاريخ دارالعلوم ديوبند، ج٢ الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٧) مناظر أحسن كيلاني، سوانح قاسمي، ج ٢مكتبة دارالعلوم.

٨) افتخار علي، سوانح حيات شيخ الأدب مارس ١٩٥٥م.

٩) الشيخ محمد أنظر شاه، تذكرة اعزاز، مكتبةأبناء علامة أنورشاه، شاه منزل، الطبعة الأولى، يونين برنتنك بريس، دلهي ١٩٥٢م.

١٠) المفتي عزيز الرحمان، تذكرة مشائخ ديوبند، مدني دارالتاليف، بجنور ١٩٦٥م.

١١) المفتي ظفير الدين، مشاهير دارالعلوم ديوبند، مكتب الإحتفال المئوي، دارالعلوم ديوبند، ط ١٩٨٠م.

١٢) السيد احمد رضا البجنوري، ملفوظات علامة كشميري، بيت المكتب ديوبند.

١٣) المفتي محمد تقي العثماني، علماء ديوبند كيا تهى، مكتب الإحتفال المئوي دارالعلوم ديوبند.

١٤) عبدالأحد القاسمي، حيات إعزاز ، الناشر مدير المكتبة الحميدية، جوك بازار داكه.

١٥) السيد سليمان الندوي، عرب وهند كى تعلقات، مطبع معارف أعظم كره، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

١٦)مجلة الفرقان، لكهنو، وفيات نمبر ابريل مئي جون١٩٧٧م.

١٧) اعزاز على، التفهيمات، شرح المقامات الحريرية، ج ١ مكتبة محمودية.

١٨) أيوان أردو، مولانا آزاد نمبر ديسمبر ١٩٨٨م أردو أكادمي، نيو دلهي.

١٩) ترجمان القران ، ج١، مولانا أ بو الكلام آزاد، ساهتيه اكيدمي، نيو

دلهي ١٩٦٤م.

٢٠) محمد خالد، مقالات عثماني (مباحث علم الكلام) الناشر دارالعلوم حيدرآباد، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٢١) جريدة الجميعة اليومية، عدد خاص (تذكرة شيخ العجم والعرب حسين أحمد المدني) ج ٤٣ مكتبة باغنبورة غوجرانوالة، ط ١٥ فروري ١٩٥٨م.

٢٢) سيد صباح الدين عبد الرحمان، مولانا سيد سليمان ندوي كي تصانيف (ايك مطالعة) دارالمصنفين شبلي اعظم كره ط٩٨٨.

٢٣) شاه معين الدين أحمد الندوي، حيات سليمان، دارالمصنفين شبلي اكيدمي، اعظم كره هند.

٢٤) حبيب الرحمان، علماء ديوبند اور علم حديث، مطبوعة دارالعلوم ديوبند.

٢٥) عبد القوي دسنوي،حيات أبو الكلام آزاد، ايج ايس ،آفست بريس دلهي،٢٠٠م.

٢٦) رشيد الدين خان، آزاد ايك همه كير شخصيت، ترقي اردوبيرونيو دلهي،١٩٨٩م.

الكتب الإنجليزية:

1) SAFIA AMIR, MUSLIM NATIONHOOD IN INDIA (PERCEPTION OF SEVEN ELEMENT THINKERS, PAGE NO. 181, KANISHKA PUBLISHERS & DISTRIBUTERS, NEW DELHI, 2000.

2) M A SIDDIQUI, HISTORY OF MUSLIM, ATLANTIC PUBLISHERS & DISTREBUTERS, NEW DELHI, 1997.

3) BIPAN CHANDRA, INDIA'S STRUGGLE FOR INDEPENDENCE, NIKING, 1988.

4) MUNATOR MAIN, THE ALIGARH MOVEMENT, KARACHI, 1976.

CONTRIBUTION OF SHEIKH IEZAZ ALI TO THE ARABIC STUDIES: AN ANALYTICAL STUDY

Dissertation Submitted to the Jawaharlal Nehru University in Partial Fulfillment of the Requirements for the Award of Degree of Master of Philosophy

Submitted by

WASIUL HAQUE

Supervisor
PROF. F.U.FAROOQI

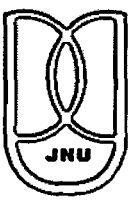

Center of Arabic & African Studies
School of Language Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

2005